الفصل الثالث

في نقد الأدلة وغيرها

١/٣

الدليل اللغوي العام:
معجم عام شامل في الأدوات والتراكيب والمهارات الكتابية،
لسليمان فياض: مراجعة علمية نقدية

مدخل: في النقد ازدهار العلم:

يمثل النقد المعجمي أحد أهم أركان البحث المعجمي المعاصر، وفق أحدث تطوراته الراهنة، وهو الأمر الذي يقرره - مثلًا - هارتمان في كتابه: المعاجم عبر الثقافات [ترجمة الدكتور محمد محمد حلمي هليل، الكويت، ٢٠٠٤م، (ص ٧٤)]، عندما يقول: إن البحث في النقد المعجمي أحد أهم حقول تخصص البحث المعجمي.

ويكشف عن عدد من وظائفه ومقاصده المعرفية التي يمكن تلخيصها في الكليات التالية:

أولًا: تقويم المعاجم (ص ٤٩)، يقول: "لقد سعى النقد المعجمي جاهدًا لوضع المعايير (لتقويم المعاجم)".

ثانيًا: ترقية الوعي العام بالمعاجم.

ثالثًا: النهوض بمستوى الأعمال المعجمية، يقول (ص ٦٢): "والنقد المعجمي يمكن أن يكون وسيلة فعالة من وسائل زيادة الوعي العام بالمعاجم، والنهوض بمستوى النتاج المعجمي".

رابعًا: الإسهام في رسم الصورة الكلية للمعجم.

خامسًا: الإسهام في إنجاز التقييم للمعاجم المنجزة، يقول (ص ٧٤): "البحث في النقد المعجمي هو الذي يدرس سياق التقييم المرجعي، ويتولد عنه - من بين أشياء أخرى - صورة كلية للمعجم".

سادسًا: ترسيخ معايير النقد المعجمي: يقرر هارتمان أن استقرار النقد المعجمي من شأنه أن يسهم في ترسيخ المعايير المنظومة في تقييم المعاجم، وغيرها من الأعمال المرجعية، بحيث يصير الاتفاق عليها عامًّا ودوليًّا.

وتتبدى هذه المعايير المنظومية في ما يلي:

١- المظاهر المعيارية (الاستيعاب/ الشكل/ المجال/ الحجم/ العنوان/ التأليف) (ص ٧٨- ٧٩).

٢- المظاهر المنهجية والتصنيفية (البنية الكبرى / البنية الصغرى/ والتحليل النقدي للمصادر/ وطرق التوثيق).

٣- المظاهر الاستعمالية والوظائفية (مواءمته لطبيعة المستعملين/ ووظائفه).

وفحص كتاب هارتمان يكشف عن أن عروض نقد المعاجم تندرج ضمن بحوث المعجمية في جانب الصناعة المعجمية.

والحق أن الثقافة اللسانية العربية المعاصرة عرفت النقد المعجمي في صورتين عامتين، هما:

أولًا: النقد المعجمي العام للمعجمات التراثية العربية، وأخذ موقعه في نوعين من الأدبيات المعاصرة في الثقافة العربية:

١- أدبيات فقه اللغة أو اللسانيات التراثية، التي انشغلت بالبحث الدلالي، أو فقه اللغة في التراث العربي منذ منجز إبراهيم أنيس وحتى اليوم.

٢- أدبيات الدرس المعجمي والدلالي العامة (المسحية).

وقد اتسمت معالجات النقد المعجمي في هذه الأدبيات بالسمات التالية:

أ- الانطباعية، وعدم الخضوع لمعايير منظومية منضبطة.

ب- الميل نحو النقد المعجمي السلبي.

ج- العموم وعدم التفصيل.

ثانيًا: النقد المعجمي الخاص بمعجم بعينه، وقد برز في هذا السياق أسماء لعدد من اللسانيين التراثيين المعاصرين، من أمثال:

١- أحمد فارس الشدياق.

٢- الأستاذ أحمد تيمور.

٣- الأستاذ عبد السلام هارون.

ثالثًا: الدراسات المعجمية الأكاديمية الخاصة بقطاع من الأعمال المعجمية، أو بمعجم بعينه.

وهذه الشرعية التي تمثل البداية لتجليات النقد المعجمي المعاصر، تستهدف خدمة مجال النقد المعجمي للمقاصد العامة التي سبقت في هذه الفقرة.

ويعالج هذا المبحث المطالب التالية:

١. الدليل اللغوي العام: مادته/ وانتماؤه المعرفي.

٢. الدليل اللغوي العام: مقالة في البنية:

أ- البنية الكبرى. ب- البنية الصغرى.

٣. الدليل اللغوي العام: مقالة في الوظائف.

٤. الخاتمة.

وفي ما يلي بيان مفصل لهذه المطالب، تستهدف خدمة حقل النقد المعجمي بالتقدم نحو النماذج المعاصرة من المعجمات نقديًّا.

(١) الدليل اللغوي العام: مادته وانتماؤه المعرفي:

ونعتمد في هذه المراجعة العلمية النقدية لكتاب: الدليل اللغوي العام: معجم عام شامل في الأدوات والتراكيب والمهارات الكتابية، لسليمان فياض، على طبعة مكتبة الأسرة، فرع العلوم الاجتماعية، التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م ×٣٢١ ص.

(١/ ١) ويضم هذا الدليل/ المعجم مجموعة من المداخل، يرى صانعه أنها جميعًا مما يندرج في إطار ما يسميه باسم المشكلات في اللغة العربية؛ يقول (ص ٧): "وهذا الدليل اللغوي خاص بالألفاظ والأدوات والتراكيب المشكلات في اللغة العربية".

وهو يضم المجموعات التالية من المداخل موزعة على المستويات اللغوية المختلفة:

أولًا: مداخل لمعلومات صوتية؛ تحيط بأصوات العربية، وبيان مداخلها، وخصائصها وسماتها المائزة.

ثانيًا: مداخل صرفية؛ تحيط بطبيعة الكلمات وأنواعها، ووظائفها.

ثالثًا: مداخل لمعلومات نحوية تركيبية؛ تعنى ببيان بعض إعرابات عدد من الكلمات والتراكيب الشائعة الاستعمال في لغة المعاصرين، وبعضها مهجور غير مستعمل.

رابعًا: مداخل لمعلومات معجمية؛ تحرص على العناية بمعاني الكلمات في اللغة العامة.

خامسًا: مداخل لمعلومات كتابية (الخطاطة)؛ تعنى بالقواعد التي تحكم كتابة عدد من الكلمات والتراكيب؛ مما يمكن أن يمثل قدرًا من الصعوبة على قطاع من المستعملين غير المختصين، أو من غير الخبراء في اللسان العربي وقواعده وقوانين الكتابة فيه.

سادسًا: مداخل لمعلومات بلاغية ودلالية؛ قد تعرج على بيان بعض المعلومات البلاغية والدلالية؛ مما يصعب التوصل إليها في المصادر والمراجع المختصة.

سابعًا: مداخل لمعلومات سياقية تحاصر مشكلات اللحن والخطأ في اللغة والأسلوب.

وقد تكسر الدليل على تسعة وعشرين بابًا على حروف المعجم، مع إفراد باب مستقل للمداخل المبدوءة بحرف الألف، وقع قبل بابي الواو والياء وبعد الهاء!

وقد بلغت كثافة مداخل الأبواب مجتمعة: ٧٣٣ مدخل، أما تفصيلات ورودها فكما يلي:

١. باب الهمزة: ٢١٠ مدخل. ٢. باب الباء: ٣٤ مدخلًا.

٣. باب التاء: ٢٧ مدخلًا. ٤. باب الثاء: ٤٠ مدخلًا.

٥. باب الجيم أحد عشر مدخلًا. ٦. باب الحاء: ٣٤ مدخلًا.

٧. باب الخاء: ٢٠ مدخلًا. ٨. باب الدال: خمسة مداخل.

٩. باب الذال: ١٤ مدخلًا. ١٠. باب الراء: ٢٠ مدخلًا.

١١. باب الزاء: ثلاثة مداخل. ١٢. باب السين: ٣٨ مدخلًا.

١٣. باب الشين: خمسة مداخل. ١٤. باب الصاد: أربعة مداخل.

١٥. باب الضاد: مدخل واحد.

١٦. باب الطاء: أربعة مداخل

١٧. باب الظاء: ثلاثة مداخل.

١٨. باب العين: ٢٤ مدخلًا.

١٩. باب الغين: سبعة مداخل.

٢٠. باب الفاء: ١٢ مدخلًا.

٢١. باب القاف: ١٧ مدخلًا.

٢٢. باب الكاف: ٣١ مدخلًا.

٢٣. باب اللام: ٢٩ مدخلًا.

٢٤. باب الميم: ٢٥ مدخلًا.

٢٥. باب النون: ثمانية مداخل.

٢٦. باب الهاء: ٣٣ مدخلًا.

٢٧. باب الألف: مدخل واحد.

٢٨. باب الواو: ٢٢ مدخلًا.

٢٩. باب الياء: ١٠ مداخل.

(١/ ٢) وينتمي هذا الدليل/ المعجم في ظاهر التصنيف إلى مجال المعجم، بدليل ما يلي:

أولًا: العنوان، فقد جاء العنوان الجانبي للكتاب: "معجم عام شامل في الأدوات والتراكيب والمهارات الكتابية".

ثانيًا: المقدمة، فقد قرر صانعه (ص ٧): أنه دليل عام شامل.

ثالثًا: منهجية بنائه؛ فقد اتخذ شكلًا معجميًّا عند صدوره؛ إذ تصمم على هيئة المعجم، مكونًا من نهرين:

أ- استقل الأول للمداخل، مميزة بانفصالها في حيز مكاني مستقل.

ب- واستقل الأخير: لمعلومات التعليق على المداخل.

رابعًا: منهجية ترتيب مداخله؛ حيث رتبت المداخل ترتيبًا ألفبائيًّا هجائيًّا جذعيًّا؛ أي من غير تجريد، ووفق منطوق المداخل، مع مراعاة الحرف الأول فالثاني ثم الثالث، وما يليها.

والكتاب - مع انتمائه الظاهر لمجال المعجم - صالح لأن ينتمي إلى عدد آخر من الانتماءات المعرفية، يمكن تلمسها في ما يلي:

أولًا: الصوتيات العربية:

كان من عناية الدليل اللغوي العام بالصوتيات العربية - افتتاحه كل باب (حرف) ببيان خصائص الصوت/ علم الباب، مع النص على المجال العلمي للمعلومات الواردة، فهو مثلًا يفتتح باب الهمزة بقوله (ص ١١): "ء صوتيًّا: صوت شديد، مخرجه من الحنجرة".

ويقول في وصف صوت الباء في افتتاح الباب الثاني (ص ٨٧): "ب صوتيًّا: ... مخرجه من بين الشفتين، وهو ... مجهور شديد". وهكذا في افتتاحيات الأبواب جميعًا: (ت: ١٠١/ ث: ١٠٩/ ج: ١١٩/ ح: ١٢٣/ خ: ١٣٠/ د: ١٤٥/ ذ: ١٤٩/ ر: ١٥٧/ ز: ١٦٥/ س: ١٦٩/ ش: ١٧٧/ ص ١٧٩/ ض: ١٧٩/ ض: ١٨١/ ط: ١٨٣/ ظ: ١٨٥/ ع: ١٨٧/ غ: ١٩٩/ ف: ٢٠٣/ ق: ٢١١/ ك: ٢١٩/ ل: ٢٣٣/ م: ٢٥٥/ ن: ٢٦٥/ هـ: ٢٦٩/ الألف (اللينة): ٢٧٧/ و: ٢٨٥/ ي: ٢٩٧).

ولم تنحصر المعلومات التي يقدمها هذا الدليل على الصوتيات المجردة (الفوناتيك)، وإنما يتجاوز في أحيان إلى الصوتيات الوظيفية (الفونولوجيا).

ويرتبط بهذا الانتماء عنايته الظاهرة بمعلومات التجويد؛ بما هو صوتيات خاصة بالكتاب العزيز.

ثانيًا: الصرف:

ومما أظهر الدليل اللغوي العام نحوه عناية خاصة كذلك - المعلومات الصرفية، وقد ميزها بمؤشرات دالة على مجالها.

ثالثًا: النحو:

وقد كانت عناية الدليل اللغوي العام بالمعلومات النحوية مركزية ظاهرة في:

أ- العنوان: (معجم عام شامل في ... التراكيب).

ب- المقدمة: يقول (ص ٧): "وهذا الدليل اللغوي خاص بالتراكيب المشكلات في اللغة العربية التي ينسى أكثر متعلمي العربية معانيها، وكيفية استخدامها اللغوي ... ومع أوجه البناء والإعراب".

ج- التوزع الكثيف لمعالجات المداخل من منظور نحوي، مؤشر دال على المجال.

رابعًا: الخطاطة، أو علم الرسم:

إن الدليل اللغوي العام محكوم في أهداف صناعته بالعناية بدعم المهارات الكتابية، وتنمية مهارات الكتابة الصحيحة، وهو ما يفسره ظهور النص على هذا المجال في:

أ- العنوان: (معجم عام شامل في ... المهارات الكتابية).

ب- المقدمة: يقول (ص ٨): إن من أهداف هذا الدليل هو إغناء خبرة مستعمليه في مجال الإملاء والمهارات الكتابية.

ج- التوزع الظاهر لقوانين الكتابة أو الرسم في كثير من التعليقات على مداخل المعجم.

خامسًا: اللهجات:

كان مما اعتنى به الدليل اللغوي العام حرصه على إيراد بعض الاختلافات اللهجية، ولاسيما في ما يخص أشكال نطق عدد من الأصوات العربية.

ومن أمثلة ذلك ما أورده في سياق بيان وصف صوت الجيم، فقد قرر لها الصور النقطية التالية (ص ١١٩):

أ- الجيم المزودجة، وهي الفصحى.

ب- الجيم السامية ***(القاهرية)***؛ الشديدة المجهورة.

ج- الجيم ***الشامية***؛ الرخوة المجهورة.

سادسًا: البلاغة العربية:

ويخدم هذا الدليل - وإن بدرجة أقل - مستعملين من جهة ما يحتويه من بعض المعلومات البلاغية.

إن تعيين هذه الانتماءات المعرفية لهذا الدليل، وإن انصبت في المقام الأول في باب تصنيفه معجما - فإن تسميته بالدليل ربما تجعله نمطًا متميزًا - بعض الشيء - من الأعمال المرجعية، يترادف مع المعجم ترادفًا شبه تام.

والدليل - من منظور علم المراجع - وعاء من أوعية المعلومات، وهو في هذه الحالة وعاء جعل: الأدوات، والتراكيب، ومهارات الكتابة مشغلته الأساسية، وهو ما ميزه بدرجة ما عن المعجم.

(٢) الدليل اللغوي العام: مقالة في البنية:

يمثل تحليل بنية المعجم (الكبرى/ الصغرى) أول تطبيق لالتزام المعايير المنظومة في النقد المعجمي، ووفقًا لأطروحة هارتمان حول بنية المعجم، فإنها تتوزع نوعين، هما:

٢/ ١ البنية الكبرى، أو الهيكل العام المصمم عليه المعجم، بما يضمه من:

واجهة المعجم/ وترتيب مداخله (خارجيًّا/ وداخليًّا) وملاحقه وكشافاته.

٢/ ٢ البنية الصغرى، الموزعة بدورها على:

أ. معلومات التعليق على الشكل.

ب. معلومات التعليق على المعنى.

وفي هذا الجزء من المراجعة العلمية النقدية للدليل اللغوي العام نتوقف أمام فحص هذه البنية، وقياس ما تحقق من مبادئها المستقرة في البحث المعجمي على مستوى التصنيف المعجمي تعيينًا.

٢/ ١ البنية الكبرى للدليل اللغوي العام:

ضم الدليل اللغوي العام - مشغلة هذه المراجعة - ثلاثة أقسام، هي:

أ- المقدمة.

ب- جسم الدليل (صلبه).

ج- فهرس (أو كشاف) المداخل.

(٢/ ١/ أ) كشف تحليل مقدمة الدليل عن عنايتها بالمعلومات التالية:

أولًا: التعريف بالدليل، وأنه تطوير لمحاولة سابقة موجزة أنجزت ١٩٨٧م، وأن هذا التطوير ارتفع بكثافة المداخل إلى ثلاثة أضعاف، يقول (ص ٧): "هذه الطبعة من "الدليل اللغوي" دليل عام شامل بقدر المستطاع، بعد دليلنا اللغوي الموجز في طبعته الأولى. وتربو مواد هذا الدليل اللغوي على ثلاثة أمثال الدليل الموجز الذي أصدرناه سنة ١٩٨٧م".

ثانيًا: طبيعة الدليل، وأنه "خاص بالألفاظ والأدوات والتراكيب المشكلات في اللغة العربية" (ص ٧).

ثالثًا: الغاية من إنجاز الدليل، وأنه يأتي من أجل (الإسهام في تيسير خبراتنا بالعربية وإغنائها؛ حتى لا نخطئ كثيرًا في كيفية استخدامات هذه المواد" (ص ٨).

بالإضافة إلى التيسير على المستعملين الذين يصعب عليهم العثور على كثير مما تضمنه.

رابعًا: بيان نظام ترتيب المداخل، وإن جاء سريعًا مخلًّا جدًّا، مع بيان الغاية من تطبيقات هذا النظام يقول (ص ٨): "والكشف فيه (أي هذا الدليل) عن هذه المواد والتراكيب سريع؛ بفضل ترتيبه الهجائي"!

وهذه المقدمة/ واجهة المعجم أخلت بعدد من المبادئ المستقرة في برامج إنجاز مقدمات المعاجم، وهي:

أولًا: التقصير في بيان طبيعة المنهج، أو نظام الترتيب تفصيلًا.

ثانيًا: التقصير في بيان إرشادات الاستعمال.

ثالثًا: إغفال مصادر استمداد مادة الدليل.

رابعًا: إغفال بيان منهجية ترتيب معلومات ما تحت المداخل.

خامسًا: السكوت عن بيان طريقة جمع المادة.

سادسًا: إغفال بيان طبيعة المستعملين المستهدفين.

(٢/ ١/ ب) متن الدليل:

مثل متن الدليل، أو صلبه القسم الثاني من بنية المعجم الكبرى. وقد أشارت واجهة المعجم - بصورة عرضية عابرة - أن مداخله رتبت ترتيبًا هجائيًّا.

والحق أن نظام ترتيب المداخل جاء ألفبائيًّا هجائيًّا جذعيًّا؛ أي وفق صورة المدخل النهائية في الاستعمال، من دون الرد إلى الجذور، أو التجريد، مراعاة للثواني والثوالث من حروف كل مدخل، وإن طالت صورته الشكلية وانتقل من النمط الحرفي، إلى ما بعد من الأنماط الفردية أو التركيبية بأنواعها المختلفة من: إضافية أو وصفية أو عطفية؛ إلخ.

وهذا النظام الترتيبي واحد من نتائج رعاية منظور المستعمل user perspective، الذي تحرص عليه الصناعة المعجمية الحديثة.

وهذا النظام الترتيبي للمداخل راعى الحرف الأول من المدخل، بحيث أصبح شكل النظام هو:

أولًا: توزيع المداخل على تسعة وعشرين بابًا وفق الحرف الأول من المداخل، وهو الترتيب الخارجي للمداخل.

ثانيًا: توزيع المداخل في الباب الواحد توزيعًا ألفبائيًّا، يراعي انتظام الحروف الثواني والثوالث؛ إلخ، وهو الترتيب الداخلي للمدخل.

والحق أن ترتيب المداخل؛ خارجيًّا/ داخليًّا خضع لمراجعة أظهرت تمتعه بقدر ظاهر من الضبط والإتقان والجودة.

وإن كان ثمة ملاحظ نقدية سلبية، فهي قليلة، ويمكن حصرها في ما يلي:

أولًا: صنع باب مستقل للألف اللينة، وهي حركة طويلة، وليس صامتًا.

ثانيًا: بعض الاضطراب النادر في ترتيب معلومات التعليق على المداخل؛ فقد بدا من فحص المعجم التزام ترتيب المعلومات وفق المنهج التالي:

أ. المعلومات الصوتية. ب. المعلومات المعجمية.

ج. المعلومات الصرفية. د. المعلومات الكتابية.

هـ. المعلومات النحوية. و. المعلومات الإعرابية.

وهو الترتيب الذي ظهر من تأمل معلومات التعليق على المداخل .. صحيح أن هذه المعلومات جاء ظهورها متفاوتًا من مدخل لآخر، لكن الفحص أظهر بعض الاضطراب في ترتيب إيرادها؛ ففي معلومات التعليق على مدخل (الهمزة) جاء الترتيب كما يلي:

أ- المعلومات الصوتية. ب- المعلومات النحوية!

ج- المعلومات الصرفية! د- المعلومات الكتابية!

وهو ما شهد تقديم معلومات النحو على الصرف والكتابة!

ثالثًا: اضطراب في ترتيب بعض المداخل داخليًّا:

صحيح أن أمثلة هذه الاضطراب جاءت نادرة جدًّا، لكنها موجودة؛ ففي باب الألف، وقع المدخل (أمت) [ص ٦٥] بتشديد الميم بعد المدخل (أمامك)، وقبل المدخل (امرؤ) (ص ٦٦)، والصواب نقله ليقع بعد المدخل: (أمس؛ ص ٦٧)، وقبل المدخل: (أنبا، ص ٦٦)؛ نظرًا لتشديد الميم؛ إذ الملاحظ أن يعد المشدد حرفين!

ومن أمثلته أيضًا في الباب نفسه ورود المدخل (أنتما)؛ ص ٦٨) قبل المدخل (أنتم: ص ٦٨)، والصواب التبديل؛ بحيث يتقدم المدخل (أنتم) لتكونه من أربعة حروف، وتأخر المدخل (أنتما)؛ لتكونه من خمسة حروف!

ويمكن ملاحظة أمثلة من هذا الاضطراب في ما يلي:

(أوه/ أواه/ آه)؛ ص ٧٧)! والصواب ورودها (آه/ أواه/ أوه)!

(٢/ ١/ ج) فهرس (كشاف) المداخل:

استقر النظر في الأعمال المرجعية على تقدير قيمة الكشافات؛ لما لها من عوائد من جهتي: توفير الوقت، وتوفير الجهد معًا. وهو الأمر الذي يرقى برتبة الأعمال المرجعية التي تعتني بصناعة الكشافات للمكونات الصغرى مما تورده من معلومات.

وقد صنع الدليل اللغوي العام كشافًا واحدًا لمداخله، أعاد فيه سردها واضعًا أمامها المؤشر المكاني لموضع ورودها في داخل المعجم.

وفي المجمل فإن البنية الكبرى للمعجم جاءت وفق المعايير المنظومة المقترحة هنا لنقد الدليل فقد جاءت جيدة، باستثناء الملاحظ السلبية التي ظهرت في قسمي: المقدمة / والمتن.

(٢/ ٢) البنية الصغرى للدليل اللغوي العام:

تبعا لنموذج هارتمان فإن البنية الصغرى تتشكل من ركنين، هما:

(٢/ ٢/ ١) ركن التعليق على شكل المداخل.

(٢/ ٢/ ٢) ركن التعليق على معنى المداخل.

وفي ما يلي تحليل لعمل الأستاذ/ سليمان فياض في البنية الصغرى للدليل اللغوي العام، الذي هو معجم عام شامل في الأدوات والتراكيب والمهارات الكتابية:

(٢/ ٢/ ١) التعليق على الشكل:

يتناول ركن التعليق على الشكل معالجة المعلومات الخاصة بصيغة المدخل من جهة:

هجائه/ وضبط/ وماهيته الصرفية والمورفولوجية.

إن فحص عمل صاحب هذا المعجم/ الدليل يكشف عن السمات التي طبعت تعامله مع معلومات التعليق على شكل مداخله، وهي هذه الملامح التي يمكن إجمالها في ما يلي:

أولًا: اضطراب ظهور الضبط في المداخل؛ فقد تفاوتت نسب ظهور الضبط في هذا الدليل المعجم، واتضح أن هذا الاضطراب مرجعه إلى عدم إحكام معايير توظيفه؛ فقد ظهر نوع ضبط في عدد من المداخل في مثل الحالات التالية:

أ- الضبط للتفريق بين الحالات الإعرابية، في مثل:

- أبت (ص ٢٤) بفتح الهمزة والباء المهملة وكسر التاء المثناة الفوقية/ منادى منصوب مضاف محذوف الياء.

- وأبت (ص ٢٤) بفتح جميع حروفها/ منادى منصوب / مضاف محذوف الياء.

ب- الضبط لبيان خصائص صرفية نحوية في مثل:

- آحاد (ص ٣٣) بضم مفتتح / (للدلالة على وزن المعدول الممنوع من الصرف).

ج- الضبط للتفريق بين صيغتين متداخلتين رسمًا، والضبط هو السبيل لتمايز الوظائف النحوية الدلالية؛ في مثل:

- أما، بفتح الهمزة والميم/ التي هي حرف استفتاح.

- أما، بفتح الهمزة وتشديد الميم المفتوحة/ التي هي حرف تفصيل أو إباحة، أو شك؛ أو تخيير، أو إيهام.

وانظر: (ثم/ ثم. (ص ١١٤): بالفتح: اسم إشارة/ وبالضم: / حرف عطف).

ثانيًا: اضطراب العناية بمعلومات الصرف.

ركز هذا الدليل على العناية (كما جاء في مقدمته) بالمعلومات الصرفية؛ بما هي جزء من غايات الكشف عن صنعه، ووضعه.

وقد ظهرت العناية بمعلومات الصرف على مستويين، هما:

أ- مستوى تأسيسي، تعينَّ بتعبير خاص دال على مستوى الاستعمال، وتعين المجال بكلمة: (صرفيًّا) قبل إيراد المعلومات المقصود بيانها أمام عدد كبير من المداخل؛ كما نرى مثلًا في:

- أبد (ص ٢٥) صرفيًّا: جمع: "آباد"، "أبود".
- أولى (ص ٧٥) أولى صرفيًّا: مؤنث: أول.

ب- مستوى عارض، تذكر فيه بعض المعلومات الصرفية عرضًا.

ثالثًا: الاضطراب في إيراد المعلومات الصرفية والنحوية تحت المجال كان مما ظهرت العناية من معلومات التعليق على الشكل ظهور الرعاية للمعلومات النحوية، تحت عدد كبير جدًّا من المداخل في هذا الدليل / المعجم، وإن اتسم التعامل معها بالاضطراب؛ فقد جاء تحت مجال تعين المعلومات النحوية المشار إليه بالمؤشر المتمثل في: (نحويًّا)، ثلاثة الأنواع التالية من المعلومات:

أ- المعلومات التركيبية.

ب- المعلومات الصرفية (معلومات نوع الألفاظ).

ج- المعلومات الإعرابية والبنائية.

ففي التعليق على المدخل (عندك) نرى المعجم يقرر:

- أنه اسم فعل أمر (١٩٥).
- مبني على الفتح.
- إعرابها.

والوفاء للحدود العلمية يجعل بيان مسألة البناء/ والإعراب من مسائل علم النحو، وبيان نوع المدخل الشكلي (المورفولوجي) - مع أنها في بنية العلم التراثية من معلومات المقدمات النحوية - فإنها في سياق تحليل البنية الصغرى من معلومات التعليق على الشكل في بند التعليق على المعلومات الصرفية للمدخل. ومثل ذلك في التعليق على المدخل (أخرى: ص ٣٥/ في العنصر المعجمي بذكر (مؤنث)، وهي من معلومات الشكل (الصرفي)!

وتأمل معالجة البنية الصغرى - في فرع التعليق على الشكل - ينتج الملاحظ السلبية التالية:

أولًا: عدم الاستيعاب في ضبط جميع المداخل.

ثانيًا: عدم الاستيعاب في ذكر المعلومات الصرفية.

ثالثًا: عدم الاستيعاب في ذكر المعلومات الهجائية.

رابعًا: عدم اعتماد معايير لطريقة معالجة الدليل لمعلومات التعليق على الشكل؛ بما هي الركن الأول من ركني البنية الصغرى للمعجم.

خامسًا: اضطراب التعامل مع معلومات هذا الركن في:

أ- موضع ذكرها تحت المداخل.

ب- نسب ظهورها من باب لباب.

ج- عدم انضباط وظائف استعمالها.

(٢/ ٢/ ٢) ركن التعليق على معنى المداخل:

يتضمن ركن التعليق على المعنى - وفق مخطط هارتمان في معجمه لمصطلحية صناعة المعجم:

أ- شرح المعنى وتفسيره.

ب- المعلومات الاشتقاقية الإبستمولوجية.

ج- معلومات مستوى الاستعمال.

وقد تميزت معالجة الدليل/ المعجم لعناصر هذا الركن بما يلي (مقارنة بمعلومات الركن السابق):

أولًا: الاستيعاب.

ثانيًا: الوضوح.

ثالثًا: الانضباط.

(أ) لقد انتظم الوفاء بمعلومات شرح معاني المداخل بمؤشر شبه منتظم، يعبر عنه اللفظ (معجميًّا)؛ وقد غلب في بيان المعنى استعمال طريقة الشرح بالمرادف، في مثل:

- أخذ (ص ٣٠/ أي: ابتدأ.
- أدرج (ص ٣٧/ بمعنى: أطرق).
- انبرى (ص ٦٧/ بمعنى: شرع).

وهذه طريقة منتقدة في برامج تقييم طرق شرح المعنى في المعجمية المختصة؛ نظرا لأنها لا تفي بذكر السمات الدلالية الفارقة.

ولعل لجوء صانع الدليل إليها مرجعه إلى التعويض الحاصل بذكر بقية المعلومات والسمات الفارقة في المظان: الصرفية النحوية والكتابية، في معلومات ما تحت المداخل.

(ب) كما رعى هذا الدليل الوفاء بعدد من المعلومات الاشتقاقية الإبستمولوجية التي استهدفت أمرين، هما:

١- بيان أصول عدد من المداخل، عن طريق بيان التأصيل اللغوي.

٢- بيان أصول المعنى من طريق الكشف عن جذوره.

وهو ما يمكن التمثيل عليه بما جاء تحت المدخل: حبذا/ (ص ١٢٥): يقول: حبذا: فعل مركب: حب/ وذا الإشارية. ففي هذا التعليق بيان لتأصيل المدخل، والكشف عن تكوينه من عنصرين. وقد أظهرت كذلك أنه من الفعل (حب) الذي لإنشاء المدح وتأسيسه.

(ج) وتعد العناية بمعلومات مستوى الاستعمال أظهر المناطق التي ظهر فيها: الوفاء بها في كل مدخل، عن طريق ألفاظ مؤشرة للكشف عن طبيعتها؛

هي: معجميًّا؛ لبيان المعنى اللغوي العام.

صرفيًّا؛ لبيان المعلومات الصرفية المورفولوجية.

نحويًّا؛ لبيان المعلومات التركيبية والإعرابية.

كتابيًّا؛ لبيان المعلومات الخاصة بالرسم والكتابة والهجاء.

وظهرت ملامح العناية بمعلومات هذا الجانب المنضبطة في توافر الخصائص التالية:

أ- الاطِّراد والانتظام؛ حيث ظهرت مع كل مدخل.

ب- الوضوح والتأكيد؛ حيث كتبت مؤشراتها بحجم طباعي مائز/ وفي موقع ظاهر.

(٣) الدليل اللغوي العام: مقالة في الوظائف:

لقد كشف تحليل الدليل اللغوي العام في بنيته الكبرى والصغرى على أنه من الأعمال المرجعية التي يمكن أن تسهم في تحقيق الوظائف التالية:

أولًا: الوظيفة المعرفية:

ويقصد بها خدمة المجال المعرفي الذي ظهر من أجله، وهو تقديم قطاع من المعلومات اللغوية الموزعة على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية.

وقد ظهر من مقدمة الدليل أنه يستهدف في سياق هذه الوظيفة ما يلي:

١. تنظيم معلومات قطاعات كثيرة من ميادينه.

٢. تجميع معلومات قطاعات كثيرة من ميادينه.

٣. توضيح كثير من صعوبات المعلومات في هذه القطاعات.

ثانيًا: الوظيفة التعليمية:

صرح صاحب الدليل / المعجم بأن واحدة من وظائف هذا الدليل ماثلة في الوظيفة التعليمية الببليوجرافية في الميدان اللغوي بمستوياته المختلفة، مع تطوير مهارات تعلم الكتابة أو الرسم.

كما أنه من جانب آخر يسهم في تطوير تعليم العربية؛ صوتيًّا، وصرفيًّا، ونحويًّا، وكتابيًّا.

ثالثًا: الوظيفة الاقتصادية:

إن تراكم ظهور الأدلة / المعاجم - بما هي أوعية نوعية للمعلومات - من شأنه أن يسهم في التوفير على مستوى الوقت، وعلى مستوى الجهد، وهو ما ينتج - بطبيعة الحال - توفيرًا على المستوى الاقتصادي.

وقد أثبتت البحوث أن كل تطوير وتراكم وترقية في ميدان خدمة المعلومات اللغوية وتنمية الكتابة أو الرسم له عائد اقتصادي إيجابي.

رابعًا: الوظيفة الحضارية والقومية:

إن هذا الدليل - بما يحققه من تيسير المعرفة اللغوية، وبما يطمح إليه من تطوير الكتابة والرسم - يصب في خدمة الوعي من جانب، والارتباط باللسان بعد تيسير تعلمه، وتيسير تحصيل قضاياه، وتيسير التغلب على مشكلاته، بما يوفره من عوائد اقتصادية من جانب آخر. وهذه جميعًا تسهم في ترقية الحضارة والشعور القومي.

(٤) خاتمة:

حرصت هذه المراجعة النقدية للدليل اللغوي العام، لسليمان فياض، على دعم سياسات تقدم بحوث النقد المعجمي في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة.

وحاولت أن تدعم التوجه نحو توطين المعايير المنظومية لمجال النقد المعجمي في الدرس المعاصر.

وقد توقفت هذه المراجعة النقدية أمام ما يلي:

أولًا: نقد المحاولات المعجمية المعاصرة طريق مهمة لبناء وعي عام بالمعاجم.

ثانيًا: تمثل دراسات نقد المعجم بابًا مهمًّا وجيدًا لترسيم الصورة الكلية للمعجم في الثقافة العربية المعاصرة.

ثالثًا: لقد سعت هذه المراجعة إلى ترسيخ معايير النقد المعجمي، والكشف عن إمكان ضبطها من جهتي المظاهر المعيارية (الاستيعاب والشكل، والمجال والحجم، العنوان؛ إلخ)، والمظاهر المنهجية التصنيفية.

رابعًا: دعم دراسات النقد المعجمي بعيدًا عن العموم والانطباعية.

خامسًا: بيان مادة المعجم/ الدليل.

سادسًا: تنوع الانتماءات المعرفية للمعجم/ الدليل.

سابعًا: كشفت المراجعة عن إمكان استقلال الدليل اللغوي؛ ليكون نوعًا مائزًا من المراجع، وإن اشترك مع المعجم في بعض الخصائص بصورة واضحة.

ثامنًا: كشفت الدراسة تراجع الدليل من جهة البنية الكبرى والصغرى، ولاسيما على مستوى الاضطراب، وعدم الاستيعاب.

تاسعًا: كشفت المراجعة عن تقديم العناية بمعلومات التعليق على المعنى مقارنة بمعلومات التعليق على الشكل.

عاشرًا: يمثل الدليل اللغوي العام خطوة جيدة على طريق المراجع الخادمة للعربية، ومعلوماتها في المستويات المختلفة.

المراجع:

١- الدليل اللغوي العام، لسليمان فياض، مكتبة الأسرة (علوم اجتماعية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م.

٢- مدخل لدراسة المراجع، للدكتور عبد الستار الحلوجي، والدكتورة منى شاكر عبد اللطيف، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

٣- المعاجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية، لهارتمان، ترجمة الدكتور محمد محمد حلمي هليل، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، (الكتب المترجمة) الكويت، ٢٠٠٤م.

4- Dictionary of lexicography, by R.R.K. Hartman, and Gergory James, Routlledge press, London and New York,1998.

***

٢/٣
التراث الموريسكي المخطوط
مراجعة علمية نقدية

لقد استقر في علم مناهج البحث أن المراجعات العلمية بحوث كاملة؛ فهي تعد - "بما تحتوي عليه من جهد تحليلي تركيبي - أعمالًا في حد ذاتها". وهو الأمر الذي من شأنه أن يحمل الدارسين في المجالات والميادين المعرفية المختلفة على منح هذا الفرع من البحوث العناية اللائقة به؛ لأهميته الكبيرة في تطوير الدرس العلمي في كل ميدان؛ من طريق تقويم نتائجه، وفحص مقولاته، وتجديد مسارات البحث فيه.

وهذا بعض ما تحققه هذه البحوث، أو هو بعض ما يرجى تحققه من نحو بحوث المراجعات العلمية النقدية.

وتعالج هذه المراجعة العلمية النقدية لكتاب: التراث الموريسكي المخطوط؛ مجموعة من المسائل والمطالب كما يلي:

١. الكتاب: مادته، وانتماؤه المعرفي، وقيمته الحضارية.
٢. التراث الموريسكي المخطوط: المصادر والتوثيق.
٣. التراث الموريسكي المخطوط: مقالة في خطاب الوظائف والاستثمار.
٤. التراث الموريسكي المخطوط: ملاحظات نقدية واستدراكية.

وهذه المراجعة تطمح إلى فتح آفاق جيدة لاستثمار هذا الكتاب، وتراكم الجهد في ميدانه، وتحقيق انفتاح موضوعاته على الحقول المعرفية المتنوعة إثراءً لها جميعًا.

وفيما يلي معالجة مطالب هذه المراجعة العلمية النقدية على ترتيب ما ورد في هذا المفتتح.

١. كتاب (التراث الموريسكي المخطوط): مادته، وانتماؤه المعرفي، وقيمته الحضارية:

كتاب (التراث الموريسكي المخطوط) هو - في الحقيقة - مجموعة من البحوث المترجمة من الإسبانية، ترجمها وعلق عليها: محمد محمد عبد السميع، وصدّره الدكتور إسماعيل سراج الدين، وقدم له الدكتور مدحت عيسى، ونشره مركز المخطوطات، بمكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥م. (في ٢١٤ص/ ١٥ ملحق صور).

وقد جاءت بحوث هذا الكتاب كما يلي:

(١/ ١) مادة الكتاب:

أولًا: اللغة الأعجمية وآدابها: بديل إسلامي للإسبانية، لمارغوميث ريناد، جامعة بلد الوليد.

ثانيًا: ملامح دراسة النصوص الأعجمية، لرينولد كونتزي، جامعة توتبغن.

ثالثًا: المخطوطات الأعجمية كنصوص إسلامية، للويس برنابيه بونس، جامعة أليكانتيي.

رابعًا: المخطوطات الأعجمية - الموريسكية: اكتشافات، ومجموعات، وقوائم، وبيانات أخرى، لخوان كارلوس بيابردي أميابا، جامعة أومبيدو.

خامسًا: مقاربة نحو تأريخ المخطوطات الأعجمية الموريسكية، لأنطونيو بيسبير تينو رودر يغيث، جامعة أوبنييدو.

سادسًا: الملامح الكوديكولوجية في المخطوطات العربية المتأخرة في شبه جزيرة إيبيريا، لنوميا مارتينيث دي كاستييا مونيوث، جامعة كوتبلوتنسي.

(١/ ٢) الانتماء المعرفي للكتاب، وآفاق استثماره المعاصر:

إن تحليل مادة هذا الكتاب، سواء أكان هذا التحليل متوقفًا عند تحليل خطاب عنوانات بحوثه أم كان متجاوزًا إلى فحص المعلومات والآراء والمناقشات التي تشكل مادة كل بحث - يكشف عن حزمة متضافرة من الانتماءات المعرفية، يمكن لهذا الكتاب المهم أن يقع في دوائرها، ويخدم اهتماماتها.

وفي هذه المقالة من هذه المراجعة العلمية النقدية للكتاب نحاول أن نستوفي هذه الخريطة للانتماءات المعرفية التي يدور في فلكها:

١/ ٢/ ١ حقل الدراسات التراثية:

يعد حقل الدراسات التراثية حقلًا ممتدًّا، يحيط بكل ما يعني بفحص التراث؛ بما هو الموروث القديم الذي وصل إلينا عن أسلافنا بشكل عام، سواء تعين في صورته الكتابية أو تجلياته المادية في صورة (المخطوطات)، كما يحدُّده علماء علم تحقيق النصوص التراثية، أم اتسع لينضوي تحته مجموعة عناصر أوسع من المخطوطات، كما يحدده علماء الحضارة والسياسة والقومية والهوية.

وهذا الكتاب ينتمي - بصورة صلبة واضحة - لكثير من ميادين هذا الحقل المعرفي ومجالاته. وهو ما نروم بيانه فيما يلي:

أولًا: علم المخطوط/ الكوديكولوجي:

من تحليل مادة البحثين في (خامسًا/ وسادسًا) يتضح أن هذا الكتاب يخدم حقل علم الكوديويكولوجي أو (علم المخطوط)؛ ذلك أن هذه المادة تتضمن فحصًا لعيون من مسائله، من مثل:

أ. اعتماد محددات الوعاء المادي (مادة المخطوط) في تأريخ المخطوطات الأعجمية، في (ص/ ١٥٨) يقول: "هناك ... مجموعة من المعلومات الخارجية مثل: الورق، الحبر، نوع الخط، اسم الناسخ ... إلخ ... يمكن أن تشير بشكل تقريبي لتأريخ هذه المخطوطات".

ب. رصد للملامح الكوديكولوجية في المخطوطات العربية المتأخرة في شبه جزيرة إيبيريا (ص ص ٢٠٨- ٢١٤)، قد تضمن ذلك الرصد ما يلي:

- ملامح عرض اللوحة (الورقة).
- ملامح تسطير الصفحات.
- أنواع الكراسات.
- أنواع الوعاء (ورق، أو رق؛ إلخ).
- وجود العلامات المائية من عدمه.
- أنماط ترتيب الأوراق، ودور التعقيبة في ذلك.

- البنية الداخلية لتجليد المخطوط، وأنواع التجليد، ومدى ظهور الحبك والفرز، وأنواع الكعوب، ومدى توافر العقد فيها من عدمه.

ج. إسهام الكتاب في استقرار الجهاز الاصطلاحي لعلم المخطوط (الكوديكولوجيا)؛ ذلك أنه استعمل عددًا طيبًا من مصطلحات هذا العلم، وعملت الترجمة على منحها مكافئاتها العربية نوعًا من الاستقرار والتوطين في بنية العلم في الثقافة واللغة العربية بين المعاصرين.

د. الإسهام في تعميق بحوث خوارج النص، وحُرود المخطوطات، وأنماط تأريخها والتملكات، وهي جميعًا من بحوث الوعاء المادي المعروف اصطلاحًا باسم المخطوط.

وهذه الأربعة العناصر ظاهرة الدلالة على انتماء هذا العمل الفريد في الثقافة العربية المعاصرة إلى ميدان علم الكوديكولوجيا أو علم المخطوط.

ثانيًا: علم تحقيق المخطوط/ النصوص التراثية (النشرات النقدية):

إذا كان علم الكوديكولوجيا (علم المخطوط) هو العلم الذي يدرس الوعاء المادي، وخصائصه، ومادة الكتابة عليه، وتسطيره، وتجليده، وفنونه؛ إلخ - فإن علم تحقيق النصوص التراثية هو العلم الذي يعنى بالنص الذي يحمله الوعاء أو المخطوط، وهذا الكتاب ينتمي - بكثير مما أورده من معلومات - إلى ميدان هذا العلم، كما يتضح من تحليل المسائل العلمية التالية التي تتضمنها بعض فصوله:

أ. موضوعات النصوص التي حملتها مخطوطات الموريسكيين، ففي (ص ٢٢) يقول: "وجل الأدب الأعجمي الموريسكي تقريبًا عبارة عن أعمال مترجمة، أو على الأقل تكييف [أو إعادة إنتاج] لأصول عربية مشرقية في معظمها".

وهذا النوع من المعلومات مفيد في تعيين مصادر مادة هذه النصوص عند تحقيقها أو نشرها نشرًا نقديًّا؛ فقد استقر في قواعد علم تحقيق النصوص التراثية ضرورة مراجعة مادة النص مشغلة التحقيق على مصادره التي اعتمدها عند التأليف أو التصنيف؛ لضبط كثير من عمليات هذا التحقيق، بدءًا من: تصحيح قراءة النصوص الجزئية، إلى توثيق هذه النصوص، مرورًا بضبطها، وتخريجها، والتعليق عليها بما يضيء الطريق للقارئ عند استعمالها، ودراستها، واستثمارها في صناعة بعض الملاحق اللازمة.

ب. معالجة تقاليد التأليف وأنساقه من المسائل العلمية التي نجد لها صدى في بعض بحوث هذا الكتاب. وهي مسألة مهمة لإنجاز أعمال دراسة النصوص مشغلة التحقيق؛ ذلك أن دراسة النص التراثي، وبيان منهجه، وموقعه في حركة التأليف في ميدانه المعرفي هي من لوازم أعمال المكملات، التي تندرج ضمن المفهوم الحديث لعلم تحقيق النصوص التراثية.

وهذه المسائل انشغلت بها دراسة ملامح دراسة النصوص الأعجمية في هذا الكتاب، وكشفت عن أهمية بالغة، تتعلق بقراءة النص، وضبطه، واستكمال نواقصه عند تعرض المخطوطات لبعض المشكلات المادية؛ مما يعرف باسم (ص/ ٥١) "إعادة إنشاء النص الأصلي المكتوب"، أو على حد تعبير الصديق الدكتور محمود مصري: "ترميم النص التراثي"!

ج. الإبداع المتعلق بأنساق التأليف في النصوص الموريسكية؛ بما هي نصوص إسلامية؛ بما يعني ظهور نمط من أنماط الاستقلال في الأشكال والموضوعات متمايزة عن الأشكال والموضوعات المشرقية، كما يتضح مثلًا من دراسة: المخطوطات الأعجمية كنصوص إسلامية (ص ص ٦٤- ٩١).

د. إضافة عدد من مصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية، واستقرارها، وهو ما يمكن معه الإسهام في استقرار هذا الجهاز الاصطلاحي، وتطويره، ورصد الفروق الدلالية بين الاستعمالات المختلفة لبعض المصطلحات في تنزيلها على النصوص العربية، أو الأعجمية المخطوطة بالحرف العربي.

ثالثًا: فهرسة المخطوطات (الببليوجرافيا):

تتضمن فصول هذا الكتاب عددًا من المسائل العلمية المتعلقة بفهرسة المخطوطات الموريسكية، وقد جاء بحث: (المخطوطات الأعجمية - الموريسكية: اكتشافات ومجموعات، وقوائم وبيانات أخرى (ص ص ٩١- ١٥٣) أطول بحوث الكتاب.

وقد تضمن عددًا من المسائل المنتمية لببليوجرافيا المخطوط الموريسكي، من مثل:

أ. وصف لمحتويات عدد من المكتبات الإسبانية من المخطوطات الأعجمية - الموريسكية المكتوبة بالحرف العربي، وهذه المكتبات هي:

- المكتبة الوطنية بإسبانيا (مدريد).
- الأكاديمية الملكية للتاريخ (مدريد).
- مكتبة "توماس زابار وتوماس" (مدريد).
- المكتبة الملكية = مكتبة جلالة الملك الخاصة = مكتبة القصر (مدريد).
- مكتبة الإسكوريال الملكي (مدريد).
- مكتبة "كاستيبا لامانشا" (طليطلة).
- الأرشيف الأسقفي (كوينكا).
- ورثة السيد "إيسيدرو دي لاس كاخيغاس".
- اكتشاف" أوكانيا" (طليطلة).
- الأرشيف الكنسي لكاتدرائية "ديل بيلاء" (سرقسطة).
- المدارس الدينية (سرقسطة).
- مكتبة جامعة سرقسطة.
- أرشيف البروتوكولات القانونية (سرقسطة).
- أرشيف محاكم "أراغون" (سرقسطة).
- الاكتشافات الحديثة والمجموعات الخاصة (أراغون).
- مكتبة كاتالونيا (برشلونة).
- مكتبة جامعة برشلونة.
- الأرشيف التاريخي لمدينة برشلونة.
- معهد الدراسات الليريدية (مدينة ليريدا).
- المكتبة العامة (مدينة ليريدا).
- اكتشاف بلدية (أسكو)، بإقليم" تاراغونا".
- المكتبة الوطنية الفرنسية (باريس).

- مكتبة ميجان (منطقة أكس أون بروفونس).
- المكتبة البريطانية (لندن).
- مكتبة جامعة كمبردج.
- جامعة وادهام (أكسفورد).
- مكتبة جامعة "أوبسالا" (السويد).
- مكتبة جامعة بولونيا (إيطاليا).
- مكتبة كازانيتنس (روما).
- المكتبة الرسولية بالفاتيكان (روما).
- المكتبة الوطنية المركزية (فلورينسيا).
- مكتبة برجر (برن).
- المكتبة الوطنية بمالطا.
- المكتبة الوطنية بالجزائر.
- مكتبة فيشر جامعة سيدني (أستراليا).
- الأرشيف الوطني العام (المكسيك).
- المكتبة الوطنية (قطر).

ب. القائمة الطويلة للمخطوطات الموريسكية المؤرخة، ومصطلح "المخطوطات المؤرخة" أوسع دلالة من الدلالة المعروفة للمصطلح، فالمصطلح في هذا الكتاب مستعمل ليدل على ما يلي:

- المخطوط المؤرخ نصيًّا في حرده بعبارة اضحة؛ كنوع الخط، أو الحبر، أو لغته القديمة، أو نمط تجليده، أو معلومات حول ناسخه، أو نوع ورقه، أو حجمه؛ إلخ.

وقد استطعت تحصيل هذا التصور من ملاحظة النهر الذي خصصه أنطونيو بيسبيرتينو رودر يغيث في بحثه: مقاربة نحو تأريخ المخطوطات الأعجمية الموريسكية (ص ص ١٦٠-

٢٠١)، وضم (٢١٠) مخطوطة (لمعلومات حول التاريخ المحتمل للمخطوط)، وهو النهر الأخير في الجدول المصمم للقائمة.

ج. رءوس الموضوعات، وهو أحد المعايير الحاكمة في قراءة موضوعات النصوص، وتصنيفها بحسب المجالات والفنون، وهو ما نلحظه من النهر الخاص بموضوع النصوص في قائمة المخطوطات الأعجمية التي صنعها البحث المشار إليه في الفقرة (ب) هنا: (مقاربة نحو تاريخ المخطوطات الموريسكية).

رابعًا: خريطة الأفكار السائدة بين الموريسكيين (الفيلولوجيا):

ينتمي هذا الكتاب - بحكم ما تضمنه من رصد بموضوعات النصوص التي احتفظت بها المخطوطات الموريسكية في عدد من بحوث هذا الكتاب - إلى مجال تاريخ الأفكار السائدة بين الموريسكيين، وهو بعض المعنى المتداول لميدان الفيلولوجيا؛ بما هو علم يعنى بأفكار النصوص القديمة، وطبيعة العقول التي أنجزتها.

وتحليل رءوس الموضوعات التي وردت لنصوص المخطوطات في هذا الكتاب عن مدى المحنة والأزمة التي عاشا الموريسكي في إسبانيا أو خارجها، وهي المحنة التي شكلت ارتباطه بعدد من الموضوعات على وجه التعيين، ورأى فيها نوعًا من تحقق الذات، ومثلت له نوعًا من أشكال النجاة النفسية على الأقل.

وقد جاءت الموضوعات الأكثر انتشارًا كما يلي:

أ. النصوص الدينية المتنوعة (ترجمات القرآن، والسنة، والفقه).

ب. أدب الجدل، وأدب الدفاع عن الدين في مواجهة أصحاب الملل الأخرى.

ج. الأخلاق والمواعظ، والأدعية.

د. القصص الديني.

هـ. خطابات ورسائل خاصة.

ومن ثم ذلك يتضح حجم التمركز حول الذات، وهو نمط من أنماط المواجهة في ظل العسف والقهر والاضطهاد الذي مارسته الحكومات المسيحية ضد المسلمين الذي أجبروا على تغيير دينهم!

١/ ٢/ ٢ حقل الدراسات التاريخية والحضارية:

يصح أن نرى في هذا الكتاب عوامل تدرجه ضمن حقل الدراسات التاريخية بمعناها الواسع، التقليدي والجديد معًا؛ ففي بحوثه مسائل مهمة جدًّا تنضوي تحت التاريخ، ومن ذلك:

أ. مسائل تتعلق بمدة حياة الموريسكي في شبه الجزيرة الإيبرية، وخارجها بعد تهجيره إلى المغرب وشمال إفريقيا.

ب. مسائل تتعلق بتاريخ العلاقات بين المشرق والمغرب، وبينهما وبين إسبانيا من خلال الموريسكيين؛ مما تعرضوا له من محن، واضطهادات، وما أحيوه، واقتبسوه من آداب المشارقة، وفنونهم، وأنساق التأليف عندهم، وطرائق تجليد المخطوطات، وغيرها من مسائل التاريخ الجديد.

ت. مسائل تاريخية مهمة، تتعلق بأوضاع الموريسكيين، وما كان يشكون منه، وأشكال الاضطهادات التي تعرضوا لها في الداخل الإسباني والخارج المغربي.

ت. مسائل تتعلق بالأبعاد التاريخية لنمو الأفكار والتصورات الخرافية في الكتابات الموريسكية بصورة كبيرة.

هـ. مسائل تمنح تفسيرات تاريخية لنمو مجموعة من الكتابات والقصص التي تعلي من قيم الصبر، والتحمل، ومواجهة الابتلاءات، ومقاومة المحن!

و. مسائل تضيء تاريخ الحياة الاقتصادية للموريسكيين، من خلال تحليل حجوم الورق المستعملة في المخطوطات، وشيوع حجم الثُّمن في كثير من المخطوطات الموريسكية المحفوظة في مكتبات العالم المختلفة، وشيوع استعمال الورق، وغياب استعمال الرقوق دليل إضافي على تدهور الوضع الاقتصادي للموريسكيين كذلك؛ يقول (ص/ ٢١٠): "إن الأكثر شيوعًا فيها (أي من المخطوطات) من قطع الثمن inoctaro، وقطع الربع in quarto".

ز. مسائل تتعلق بتاريخ حفظ المخطوطات من النصارى الحكام، وتاريخ نقلها للمغرب عند التهجير.

ح. مسائل تتعلق بتاريخ تجارة المخطوطات الموريسكية، ووصولها للمكتبات المختلفة في عدد من بلدان العالم.

ط. مسائل تعين على دراسة تاريخ الأفكار المتداولة في التجمعات الموريسكية. صحيح أن هذه المسائل في مجملها تنتمي إلى ما يسمى في العصر الراهن باسم الكتابة التاريخية الجديدة، التي تتمايز – بصورة نسبية – عن موضوعات الكتابة التاريخية التقليدية (الكلاسيكية)، لكن ذلك لا يعني التجاوز أو الشطط في تقدير قيمة هذا الكتاب، وتقدير الرأي القاضي بانتمائه إلى حقل الدراسات التاريخية.

١/ ٢/ ٣ حقل الدراسات الاجتماعية والثقافية:

إن من أظهر الحقول المعرفية التي يمكن أن يخدمها هذا الكتاب – بوصفه مصدرًا من مصادر دراسة المجتمع الموريسكي – هو حقل علم الاجتماع في غير اختصاص فرعي، ومن ثم فإن هذا الكتاب يمكن أن ينتمي إلى هذا الحقل المعرفي، ومما يمكن استثماره مما ورد فيه من المعلومات ما يلي:

أ. خدمة بحوث طبيعة الحياة الاجتماعية التي فرضت على الموريسكيين بعد التغلب على حكم المسلمين في الأندلس، وخضوعها للحكم المسيحي الذي اضطهد المسلمين وعذبهم، وهجرّهم، وطرائق مواجهة هذه الضغوط، ومقاومة هذه الاضطهادات.

ب. خدمة بحوث التخفي بالعبادات والطقوس، وتوريث منظومة التقاليد الإسلامية من جيل إلى جيل آخر.

ج. خدمة بحوث الحياة الاقتصادية المتدهورة، وانعكاساتها الاجتماعية على جوانب الحياة المختلفة في الطعام والشراب والزواج والتعليم والصناعات المختلفة.

د. خدمة بحوث العلاقات المجتمعية بين الموريسكيين وغيرهم من طوائف المجتمع الإسباني بعد تغلب المسيحيين.

هـ. خدمة بحوث الحياة الاجتماعية الخاصة، وانعكاساتها على الأحوال الشخصية وأنواع الملابس، والأطعمة، وتسميات المواليد، وأنماط الزيارات العائلية، وضوابط الاجتماع واللقيا؛ إلخ.

١/ ٢/ ٤ حقل الدراسات اللسانية:

في عدد من بحوث هذا الكتاب تظهر عناية كبيرة بعدد من المسائل العلمية التي تنتمي إلى حقل الدراسات اللغوية / أو اللسانية، على مستويين، هما:

أولًا: المستوى الأصيل، وأقصد به انتماء الكتاب بوصفه مصدرًا أصيلًا لدراسة عدد من القضايا اللسانية الخاصة بلغة الموريسكيين، والتحولات التي أصابت أبنيتها الصرفية، والمعجمية، على وجه التعيين.

ثانيًا: المستوى التابع، بمعنى انتماء الكتاب بوصفه مصدرًا مساعدًا في دراسة عدد من القضايا اللسانية الخاصة بلغة الموريسكيين، تعين على دعم الدراسات التاريخية والاجتماعية والحضارية والثقافية.

ومما جاء في هذا الكتاب من المسائل التي يمكن استثمارها في تطوير البحوث اللسانية الموريسكية من جانب، والتدليل على انتماء هذا الكتاب المعرفي إلى حقل اللسانيات من جانب آخر، ما يلي:

أ. مسائل التحول الصوتي والدلالي لكثير من كلمات اللغة الإسبانية التي احتفظت بها معاجمها؛ يقول (ص/ ١٩): "إن الدراسة المعجمية للنصوص الأعجمية – الموريسكية مهمة أيضًا؛ حيث يمكن أن تؤدي إلى توضيح وصقل معنى صوت قشتالي، وإلى فهم التطور الصوتي والدلالي، وكذلك بعض المشكلات الهجائية".

ب. خدمة الدراسات المعجمية في العربية، والإسبانية والرومانثية.

ج. خدمة الدراسات التقابلية اللسانية بين العربية ومجموعة لغات شبه الجزيرة الإيبيرية؛ ذلك أن الموريسكيين كانوا استعملوا عددًا من اللغات في إسبانيا، هي: (ص ٨٢٥): "اللغة العربية بحروف عربية / والرومانثية بحروف عربية (الأعجمية) / اللغة الرومانثية بحروف لاتينية/ اللغة العربية بحروف لاتينية.

د. دعم دراسات تأثير الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للموريسكيين على الوضع اللغوي لهم.

و. خدمة دراسات الإيتمولولوجيا أو دراسات تأثيل الكلمات في الإسبانية، والرومانثية، والعربية المعاصرة مما جاء من أوربا من طريق إسبانيا بطريق سياحة الألفاظ.

ز. دعم دراسات العلم اللغوي، وما لحقه من تحولات صوتية ودلالية.

ح. دعم دراسات الخطاطة، أو علم اللغة الكتابي، وما حدث للكتابة العربية عند كتابتها بحروف لاتينية، والعكس.

إن فحص مادة بحوث هذا الكتاب يكشف عن انتماء أصيل لحقل الدراسات اللسانية بصورة فائقة، ومن الممكن أن يمثل نقطة انطلاق حقيقية لتطوير الدراسات اللسانية التقابلية بين العربية والإسبانية، ودعم دراسات تاريخ اللغة العربية في عصور ضياع الأندلس؛ اعتمادًا على النصوص الأعجمية المكتوبة، أو اعتمادًا على النصوص العربية المكتوبة بحروف غير عربية.

١/ ٢/ ٥ حقل الدراسات الأدبية:

إن كثيرًا من بحوث هذا الكتاب تدرجه في مصادر دراسة الأدب العربي في مرحلة ما بعد سقوط الأندلس في إسبانيا والمغرب.

لقد ضم الكتاب عددًا من المعلومات التي تجعله مصدرًا مهمًّا من مصادر التأريخ لأدب هذه المرحلة، ومصدرًا مساعدًا لدراسات نظرية الأدب فيما يتعلق بأنواع النصوص المتداولة وأجناسها الأدبية، ومن ذلك:

أ. ما ورد من تصنيف الموضوعات في بحث الأعجمية كنصوص إسلامية، (ص ص ٧٣- ٧٥)؛ حيث أشار إلى الأجناس والأنواع الأدبية التالية:

- الخطب.
- أدب الزهد والأخلاق.
- قصص أخلاقي.
- قصص أفرسي (= أدب معراج).
- أدب رحلات.
- نصوص المناجاة والأدعية.

- أدب الجدل والدفاع عن الدين الإسلامي.

- أدب الرسائل.

ب. ما ورد من آراء حول انتشار هذه الأنواع من النصوص الأدبية والفنية وعلاقتها بوضع الموريسكيين الاجتماعي والسياسي، والارتباط العاطفي بالدين في ظل أوضاع الضغط والقهر التي مورست ضدهم من قبل القوى المسيحية التي تغلبت على الحكومات الإسلامية في الجزيرة الإيبرية.

ج. دعم دراسات الأدب المقارن بين الأدب العربي (الموريسكي) والأدب العربي في المشرق، ودراسات الأدب المقارن بين الأدب الموريسكي والإسباني، وامتداد تأثيره في الأدب الإسباني فيما بعد تهجير المسلمين من شبه الجزيرة الإيبرية.

إن هذه الحقول المعرفية، هي أظهر الانتماءات المعرفية التي يمكن القول - باطمئنان معها - إن كتاب: التراث الموريسكي المخطوط ينتمي إليها، وبإمكان المشتغلين بها في الثقافة العربية المعاصرة أن يعتمدوه مصدرًا أصيلًا أو مصدرًا مساعدًا في تطوير بحوث هذه الميادين والمجالات والقضايا المختلفة المنضوية تحتها جميعًا.

١/ ٣ قيمة كتاب التراث الموريسكي المخطوط:

إن تحليل كتاب التراث الموريسكي المخطوط - بقصد تحصيل قيمته - يقودنا إلى تعيين محددات قيمته، كما يلي:

أولًا: يمثل هذا الكتاب وسيطًا فريدًا؛ بما نقله من بحوث عن الإسبانية، لباحثين مرموقين مختصين بالبحث الموريسكي في جامعات أوربا وأميركا اللاتينية.

ثم هو يمثل وسيطًا مباشرًا؛ إذ إن بحوثه مترجمة عن اللغة الإسبانية، التي تمثل أقرب المصادر اللسانية التي احتكت بالعالم الموريسكي.

وقضية الوسيط المعرفي هذه مهمة جدًّا في قياس قيمة هذا الكتاب وتقديرها، في ظل عدم إنتاج معرفة عربية معاصرة في هذا الباب العلمي المتعلق بالمسلمين الذين فرض عليهم التنصير في بلادهم، ثم فرض عليهم التهجير فيما بعد منها!

ثانيًا: إن بعض قيمة هذا الكتاب واردة من تنوع الاهتمامات التي يخدمها في داخل الحقل المعرفي الموسع، المتعلق بالتراث الموريسكي؛ ففي بحوثه ما يخدم اللغة العربية وتأثيرها في غيرها، وفيه ما يخدم دراسة اللغة الأعجمية، وفيه ما يخدم الكوديكولوجيا، أو الخصائص المادية للأوعية – التي هي المخطوطات الموريسكية – وغير ذلك من الحقول المعرفية الفرعية التي سبق أن عالجنا طرفًا منها في محور: انتماء الكتاب المعرفي.

ثالثًا: إن بعض قيمة الكتاب – كذلك – ظاهرة من تنوع الباحثين أصحاب البحوث التي يجمعها بين دفتيه، وتنوع الجامعات والأكاديميات في إسبانيا وغيرها من البلدان، وهو الأمر الذي يمنح القارئ شعورًا حقيقيًّا بخطورة بحوث هذا المجال؛ بسبب من تنبه كل هذه الأكاديميات إلى دراسة حقوله المعرفية الفرعية.

رابعًا: ومن مظهر تقدير قيمة هذا الكتاب أيضًا التمدد الزمني لإنجاز بحوثه في لغتها الأصيلة؛ إذ تتوزع بحوث هذا الكتاب على نحو نصف قرن، وفيما يلي سنوات إنجاز كل واحد منها:

أ. البحث الثاني = ١٩٧٠م (ملامح دراسة النصوص الأعجمية).

ب. البحث الخامس = ١٩٨٨م (مقاربة نحو تأريخ المخطوطات الموريسكية).

ج. البحث الأول = ٢٠٠٠م (اللغة الأعجمية وآدابها: نحو بديل إسلامي).

د. البحث السادس = ٢٠٠٩م (الملامح الكوديكولوجية في المخطوطات العربية).

هـ. البحث الثالث والرابع = ٢٠١٠م (المخطوطات الأعجمية لنصوص إسلامية/ والمخطوطات الأعجمية الموريسكية).

خامسًا: ومما يرقى بقيمة الكتاب ضمه لمجموعة من اللوحات والصور لنماذج من المخطوطات الموريسكية الأعجمية المكتوبة بالحروف العربية، وهي مادة مهمة – على قلتها – لدراسة عدد من القيم التي تمتع بها المخطوط الموريسكي، على مستوى الكتابة والخط، والألوان المستعملة، وتنسيق النصوص، ولاسيما في المخطوطات المترجمة، وجماليات مخطوطات المصاحف؛ إلخ من المسائل العلمية التي لا يمكن دراستها من غير متابعة فاحصة لعدد من النماذج المصورة.

٢. كتاب (التراث الموريسكي المخطوط): مقالة في خطاب المصادر والتوثيق:

(٢/ ١) تمثل دراسة خطاب المصادر في بحوث المراجعات العلمية أهمية كبيرة؛ لاعتبارات متعددة تتعلق بتقدير قيمة الكتاب - مشغلة المراجعة - من جانب، وتتعلق بقياس موقعه على خريطة بحوث المجال المعرفي الذي يخدمه ببحوثه التي يتضمنها من جانب آخر.

إن تحليل الاستشهادات المرجعية في هامش صفحات كل بحث، يكشف عن كثير من الملاحظات المهمة في هذا السياق، يمكن رصدها فيما يلي:

أولًا: التنوع اللغوي الذي كتبت به مصادر بحوث هذا الكتاب؛ فقد توزعت لغات مصادره - كما تعكسها الهوامش - على اللغات التالية:

أ. الإسبانية: وهي اللغة المركزية التي احتلت المرتبة العليا في هذا السياق (انظر: هـ/ ص ١٨؛ هـ٢/ ص ٢٣؛ هـ١/ ص ٤٨؛ هـ٢/ ص ٧٧/ هـ٣/ ص ١٢٢؛ هـ/ ص ١٥٣؛ هـ/ ص ٢٠٩)؛ وغير ذلك من المواضع الكثيرة.

ب. اللغةالألمانية: (انظر: هـ١/ ص ٤٤؛ هـ٣/ ص ٥٠؛ هـ٤/ ص ٥٤؛ هـ٤/ ص ٥٥؛ هـ٣/ ص ٥٧)؛ وغيرها من المواضع.

ج. اللغة الإنجليزية: (انظر: هـ١/ ص ٣٧؛ هـ٢/ ص ٥٧، هـ/ ص ٥٩)؛ وغيرها من المواضع.

د. اللغة العربية: وقد اختصت المصادر التي جاءت بهذه اللغة لمعالجة أمر التعليقات المترجم بالأساس (انظر: هـ٢/ ص ٨٥؛ هـ٣/ ص ١١٤)؛ وغيرها من المواضع.

ثانيًا: التنوع التصنيفي:

وفحص هذه المصادر يقود إلى الكشف عن مجموعة أخرى من الملاحظات المتعلقة بمنزلتها العلمية، وأصنافها المرجعية، كما يلي:

أ. مصادر أساسية تأسيسية في كثير من حقول الكتاب المعرفية الفرعية؛ فعلى مستوى مصادر المادة اللغوية نراه يعتمد كتاب وليم راتب في النحو العربي (انظر: هـ٢/ ص ٥٧) وغيرها، وكتاب كارل بروكلمان عن النحو العربي كذلك (هـ٣/ ص ٥٧)، وغيرها؛ وهما

كتابان تأسيسيان لدراسة النحو العربي في القارة الأوربية لاثنين من أئمة الاستشراق في إنجلترا وألمانيا على التوالي.

ب. مصادر ذات وزن نسبي مرتفع؛ بسبب من نشرها في دوريات مختصة بفحص الشأن العلمي الموريسكي، وهذا النوع من المصادر والمراجع هو الغالب على هوامش هذا الكتاب؛ مما يعكس متابعة جيدة من أصحاب البحوث المتضمنة فيه لإنجازات المجال في الدوريات الختلفة (انظر: هـ١/ ص ٧٦، هـ٢/ ص ٧٧/ هـ١/ ص ٧٨)؛ وغير ذلك من المواضع. وفحص أنواع الدوريات يكشف عن توزعها على الجامعات، والمعاهد العلمية المختصة بدراسة الآداب والتاريخ والفنون الإسبانية، أو الآداب والتاريخ واللغة الموريسكية بصورة خاصة، أو المختصة بدراسة التراث الأندلسي، وهذه المعاهد، والمختبرات موزعة على كثير من بلدان العالم، صحيح أن الكثير منها يقع في مدن إسبانيا، ولكن ذلك لا يعني غياب العواصم الأوربية والأمريكية اللاتينية؛ فثمة دوريات تصدر في لندن وغيرها.

ثالثًا: التنوع في موضوعات المجال.

من ناحية أخرى، فإن تحليل مصادر هذا الكتاب من الناحية الموضوعية العلمية يكشف عن تنوع حقيقي في الحقول الفرعية المنضوية تحت الحقل المركزي الخاص بدراسة تراث الموريسكيين، وهي الحقول التي تظهر كما يلي:

أ. مصادر خاصة باللغة الأعجمية (هـ١/ ص ٤١).

ب. مصادر خاصة باللغة العربية؛ نحوًا ومعجمًا (هـ١،٢/ ص ٥٧).

ج. مصادر خاصة بتاريخ الموريسكيين (هـ٢/ ص ١٥٦).

د. مصادر خاصة بالتوزيع الجغرافي للموريسكيين (هـ١/ ص ٣٠).

هـ. مصادر خاصة بمخطوطاتهم، وقوائمها، وكتالوجاتها، وأدلتها (هـ١/ ص ٢٢).

و. مصادر خاصة بالآداب الموريسكية (هـ١/ ص ٣٧).

ز. مصادر خاصة بدراسة التأثير والتأثر بين العرب والموريسكيين (هـ٢/ ص ٣٢).

رابعًا: التمدد الزمني للمصادر:

وقد لوحظ أن مصادر بحوث هذا الكتاب متمددة زمنيًّا بصورة تبعث على تقدير عمق مادته؛ فكثير من مصادره ترجع إلى نهايات القرن التاسع عشر الميلادي؛ ككتب وليم رايت وكارل بروكلمان، وأئمة البحث الموريسكي والأندلسي من العلماء الإسبان.

وهذا التمدد الزمني الطويل نسبيًّا للمصادر يمنح القارئ شعورًا بعراقة العناية بدراسات التراث الموريسكي.

(٢/ ٢) أما ما يتعلق بطريقة التوثيق، والتعامل مع المصادر، ومعلومات الهوامش، فقد جاءت على طريقتين كما يلي:

أولًا: تعامل مؤلفي البحوث مع مصادر بحوثهم.

ثانيًا: تعامل المترجم مع مصادر تعليقاته على الترجمة.

(٢/ ٢/ ١)

جاء تعامل أصحاب البحوث مع مصادرهم في عمليات التوثيق، في صورة مطردة، يمكن تلخيصها كما يلي:

أ. البدء باسم المؤلف.

ب. ثم عنوان الكتاب.

ج. ثم بيانات أجزاء الكتاب.

د. ثم مكان الطبعة؛ المدينة، المطبعة.

هـ. ثم تاريخ الطبعة.

و. ثم المؤشر المكاني، أو موضع النقل من المصدر (الصفحة) أو الجزء والصفحة.

ويمكن لمراجعة ذلك والتأكيد منه، مراجعة المواضع التالية:

(هـ٢/ ص ٥٧)، وغيره من المواضع.

وهذا النمط من بناء الاستشهادات المرجعية يحقق عددًا من الوظائف المهمة جدًّا، هي:

أولًا: تحقيق الموثوقية للقارئ في المعلومات والحقائق والآراء والمسائل العلمية.

ثانيًا: الإعانة على تحقيق الوظيفة المعرفية، بتمكين القارئ المختص من الوصول إلى طائفة كبيرة من المراجع الأصيلة في المجالات المعرفية الفرعية كاملة البيانات عند إرادة ذلك.

ثالثًا: خدمة الوظيفة المعرفية كذلك، بإتاحة الفرصة لدراسة مدى العناية بمجال دراسة التراث الموريسكي، وتنوع مصادره، وعراقتها.

رابعًا: الإعانة على تصنيف المصادر، وأنواعها، ودرجات الموثوقية فيها، من خلال دراسة كثافة الاستشهادات المرجعية، وتكرارها في الهوامش.

خامسًا: الإعانة على تقدير منازل المؤلفين والدراسين في حقل الدراسات الموريسكية.

سادسًا: التمكين من معرفة الدرويات والمعاهد والمختبرات العلمية المعنية بدراسات التراث الموريسكي.

(٢/ ٢.٢) أما معالجة المترجم لهوامش التعليق على ما يحتاج إلى تعليق من معلومات البحوث وحقائقها، فقد تضمنت ما يلي:

أ. تعليقات إضاءات وتنوير تحيط بالمصطلحات والمختصرات، من مثل تعريفه لمصطلح اللغة الرومانثية (ص ١٨/ ١٠هـ٢) بقوله: "هي مرحلة من مراحل تطور اللغة الإسبانية من اللاتينية إلى اللغة الإسبانية القروسطية (نسبة إلى القرون الوسطى" (المترجم).

ومن مثل تعليقه على مصطلح: فيدا (ص٢٩/ ٢هـ٢) بقوله: "الكتاب المقدس للهندوس" (المترجم).

وقد لوحظ على هذه التعليقات التنويرية ما يلي:

أولًا: توثيق نسبتها إلى المترجم، بوضع المؤشر اللغوي الدال على ذلك، في صورة كلمة المترجم بين قوسين هلاليين، وهو أمر محمود وعلمي.

ثانيًا: عدم توثيق هذه التعريفات من المراجع المختصة، وهو ما يفقدها قدرًا من الموثوقية، ويحرم قارئها من عدد من الوظائف الفرعية المرتبطة بالوظيفة المعرفية.

ب. تعليقات إضاءة وتنوير تحيط بالكتب التي ترجمت إلى العربية مما يختص بمجال الدراسات الموريسكية، ومن ذلك تعليقه على كتاب: دومينجيث أورتيث، وبرنارد فينسينت في (هـ١/ ص ٢٤) قال: "قام بترجمة هذا الكتاب ... عبد العال صالح، انظر: دومينجيث

أورتيث، وبرنارد فينسينت، تاريخ الموريسكين؛ مأساة أقلية، ترجمة عبد العال صالح، مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمن، المشروع القومي للترجمة ١٠٢٦ (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧م) (المترجم)". وقد اختلف الأمر هنا، فجاء بتعليقات وافية بالمعلومات والبيانات؛ مما يمنح القارئ الموثوقية، ويعين على تحقيق الوظائف المنبثقة من الوظيفة المعرفية.

ثالثًا: تعليقات وإضاءات تحيط بأعلام العلماء والأماكن، من مثل تعليقه على ذكر ابن عربي (ص٣٥/ ٧ هـ٢) بقوله: "هو ابن عربي الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي الرسي المتوفى سنة (٦٣٨هـ) (المترجم)".

وما قيل عن ملاحظات التعليق على إضاءة المصطلحات واقع هنا كذلك.

رابعًا: تعليقات وإضاءات تحيط بمسائل علمية جزئية وردت في بحوث الكتاب، من مثل:

أ. إضاءات تاريخية، انظر: هـ/ ص٣٢.

ب. إضاءات مرجعية تتعلق بتوثيق مسألة من مصادرها القديمة. انظر هـ١/ ص٣٤.

ج. إضاءات تتعلق بأنواع الأشعار. انظر: هـ) ٢/ ص٣٨، هـ/ ص ٣٩.

د. إضاءات تتعلق ببعض أنواع التراكيب والعبارات. انظر: هـ٢/ ص ٤١.

هـ. إضاءات تتعلق بتخريج بعض النصوص العربية، والإشارات إليها، ولاسيما الأحاديث والأمثال. (انظر: هـ١/ ص ٥٧).

و. إضاءات تتعلق بتفسير بعض ما يراه غامضًا من نصوص فنون البحوث. انظر: هـ١/ ص ٧٤.

ز. إضاءات تصحيحية لبعض معلومات فنون البحوث. انظر: هـ١/ ص ٨٠، هـ/ ص ٨٣.

ومما يلاحظ على هذه التعليقات:

أولًا: غياب المراجع التوثيقية؛ مما ينال من درجة الموثوقية فيما لدى مستعمل الكتاب من العرب.

ثانيًا: ظهور نوع من الدقة المحمودة في استعمالات عبارة الإقصاء أو عدم الحسم تقديرًا لنتائج البحوث، وهو ما يظهر عند تقديم تفاسير لبعض عبارات البحوث؛ بقصد شرحها وبيان المقصود منها، ومن ذلك مثلًا قوله (هـ١/ ص ٧٤) بذكر المتن: "نقد داخلي"، فيعلق: لعل صاحب المقال يقصد منه"الجرح والتعديل" (المترجم). وبعيدًا عن الرأي في هذا التفسير غير الدقيق، فإن افتتاح التعليق بكلمة "لعل" أمر جيد من المترجم الكريم!

٣. كتاب (التراث الموريسكي المخطوط): مقالة في الوظائف وآفاق الاستثمار:

إن تحليل مادة بحوث هذا الكتاب تفتح الباب أمام توظيفه المعاصر في عدد من المسارات، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: الوظيفة المعرفية، في تطوير بحوث دراسات التراث الموريسكي المختلفة، والموزعة على الحقول المعرفية الكثيرة التالية:

أ. اللغة.

ب. الآداب.

ج. التاريخ.

د. الاجتماع.

هـ. السياسية.

و. الحضارة.

ز. الكوديلوجيا (علم المخطوط).

ح. أنساق التأليف.

ط. الببليوجرافيا.

ثانيًا: الوظيفة اللسانية، غالبها يتعلق بتأثيرات العربية في الإسبانية، والأعجمية، وبدراسة الخطوط العربية، وتطورها، واستجابتها لكتابة النصوص الأعجمية بها.

ثالثًا: الوظيفة التاريخية والسياسية، التي تشرح استجابات الموريسكيين للضغوط السياسية القاهرة التي وجهت إليهم، وتأثيرها في عدد من مجالات العلم والدين في حياتهم.

رابعًا: الوظيفة الحضارية، التي تفسر ما نقله الموريسكيون من المسلمين، والمشاركة في مجالات كثيرة تتعلق بالتقاليد والصناعات.

ومراجعة ما كان في النقطة (١) هنا مما يتعلق بفحص الانتماء المعرفي لهذا الكتاب مفيدة مهمة في تحليل تفصيل هذه الوظائف المختلفة المنشودة.

٤. ملاحظات نقدية:

ثمة عدد من الملاحظات النقدية المهمة التي تستهدف تعظيم الفائدة من استعمال هذا الكتاب المهم، نجملها فيما يلي:

أولًا: غياب قوائم مصادر كل بحث ومراجعه.

ثانيًا: غياب توثيق معلومات التعليقات المختلفة التي أثبتها المترجم مشكورًا في هوامش الكتاب؛ بهدف إضاءة كثير من معلومات المتن.

ثالثًا: غياب بعض الملاحق المهمة، ومن ثم ضرورة صناعة ملحق بمصطلحات التراث الموريسكي في آخر هذه الترجمة مثلًا.

رابعًا: غياب كشافات مهمة، من مثل: الأعلام، والأماكن، وغيرهما.

خامسًا: حاجة عدد من التعليقات التي تفضل بها المترجم إلى المراجعة، ومن ذلك ما يلي:

هـ ١/ ص ٧٤: يعلق المترجم على تعبير النقد الداخلي، بما هو موضوع من موضوعات التأليف في الأدب الموريسكي، فيقول: "لعل صاحب المقال يقصد منه: "الجرح والتعديل"، والصواب أن تعبير (النقد الداخلي) يتوجه إلى: نقد المتن تعيينًا لا نقد السند!

خاتمة:

استهدف هذا البحث صناعة مراجعة علمية نقدية لواحد من الكتب المهمة جدًّا في حقل دراسات التراث الموريسكي، وقد تضمنت هذه المعالجة فحص ما يلي:

١. مادة الكتاب، وانتمائه المعرفي، وقيمته الحضارية.

٢. مصادر الكتاب، ومنهج توثيق معلوماته، وحقائقه ومسائله، وتعليقات الترجمة إلى العربية.

٣. تعيين عدد من الوظائف المتوقعة، وتعيين بعض آفاق استمثار الكتاب في الثقافة العربية المعاصرة، وفي المستقبل.

٤. جرد مجموعة من الملاحظات النقدية.

وقد كشفت هذه المراجعة عن مجموعة من النتائج، كما يلي:

أولًا: تعد الأهمية الكبرى لهذا الكتاب في الآفاق التي يمكن أن يفتحها لخدمة التراث الموريسكي في الثقافة العربية المعاصرة المستقبلية.

ثانيًا: اتساع الحقول المعرفية الفرعية التي يخدمها ذلك الكتاب.

ثالثًا: كشف تحليل الكتاب عن عراقة العناية بالتراث الموريسكي في معاهد العلم ومختبراته في العالم الغربي.

رابعًا: كشف تحليل الكتاب عن التمدد المكاني لمعاهد العلم ومختبراته، والدوريات المعنية بدراسات التراث الموريسكي.

خامسًا: كشف الكتاب عن الامتداد الزماني لمصادر الكتاب ومراجعه؛ بما يسمح بتقدير بحوث هذا الحقل.

سادسًا: من المتوقع أن تسهم ترجمة هذا الكتاب في تطوير كثير من بحوث دراسة المخطوطات، وتوطين جهازها الاصطلاحي في اللسان العربي.

هذا بالإضافة إلى نتائج أخرى جزئية وردت في سياق معالجة مطالبه الفرعية.

المراجع:

١. المراجعات العلمية ودورها في تحول المعلومات إلى معرفة، ضمن دراسات عربية في المكتبات والمعلومات، ع٢ سنة ١٩٩٨م، مج٣ (١/ ١١).

٢. التراث الموريسكي المخطوط: (بحوث مترجمة عن الإسبانية)، ترجمة وتعليق: محمد محمد عبد السميع، تصدير: إسماعيل سراج الدين، وتقديم: مدحت عيسى، مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥م.

***

٣/٣

لا نهائية القوائم من هوميروس حتى جويس، لأمبرتو إيكو: مراجعة علمية وقراءة في آفاق الاستثمار

مدخل: خطأ احتمالي!:

هل أخطأ علماء المعجم عندما رأوا أن القوائم (the lists) تطورت بعد إضافة مجموعة أخرى من الوظائف في صورة معلومات شكلية ودلالية وتنظيمية لتصبح معجمات؟

وبتعبير آخر: هل أخطأ علماء المعجمية عندما نظروا إلى القوائم الجامعة للألفاظ تعيينًا على أنها معجمات سقط أو خديج، لم يسمح لها الزمان، ولا العلم بأن تنضج كي تولد معجمات.

ربما!

إن كتاب الإيطالي المعاصر: أمبرتو إيكو / Umberto Eco: (لا نهائية القوائم: من هوميروس حتى جويس) أو "vertigine dellalista" يفتح الباب من جديد نحو مراجعة موقف المعجميين من القوائم، وتقديرها .. إنه يعيد هز الثقة في ما ظهر في دراسات تاريخ المعجم، وتطوره، وصدره دارسو المعجمية باطمئنان بالغ، وصاغوه في القانون الذي تجاوز حدود الفرضية الذي يقرر: إن أصل المعجم كان قائمة سمحت للزمان أن يطورها، ويعيد تجميلها بما نهض بها، وغير من ملامحها؛ لتكون معجمًا، وربما موسوعة كذلك.

يقول إيكو في محاولة افتتاحية لإعادة التفكير الجاد في مراجعة القول في الموقف من تقدير القائمة (ص ٩): وربما اعتقدنا - لأول وهلة - أن الشكل شيء تختص به الثقافات الناضجة التي تعي العالم حولها، وتمتلك نظامًا محددًا.

" ***لكن القائمة على النقيض من ذلك، أمر ظهر لدى الثقافات البدائية التي تمتلك*** صورة غائمة عن الكون، واقتصر عملها على وضع قوائم بخواصه قدر ما تستطيع، من دون أن تحاول إقامة علاقة هرمية بين هذه الخواص".

ثم يقرر من جديد أن واحدًا من أدلة عدم صدق هذه النظرة الهامشية للقوائم هو معاودة ظهورها في عصور زمنية يستحيل أن توصف بالبدائية، فيقول (ص ٢٠): "وقد ظهرت القائمة من جديد في العصور الوسطى، حين زعمت المختصرات اللاهوتية والموسوعات تقديم شكل تعريفي للكون الروحي والمادي، وكذلك في عصر النهضة والعصر البازوكي؛ حيث تبدى شكل العالم من علم الفلك الجديد، وظهرت القائمة بصورة خاصة في عالم الحداثة وما بعدها؛ مما يؤشر إلى أنها مواضيع لقوائم لا متناهية؛ وذلك لأسباب مختلفة ومتعددة".

ولهذا كله فإن السؤال الافتتاحي هنا يصبح مقبولًا جدًّا، ويصبح اطمئنان المعجميين في نظرتهم للقوائم – بما هي مواليد من نوع السقط – سلوكًا مغرورًا إلى حد كبير.

(١) لا نهائية القوائم: المادة والانتماء المعرفي:

كتاب لا نهائية القوائم: من هوميروس حتى جويس، لأمبرتوايكو، وترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء، ومراجعة الدكتور أحمد خريس، صدرت طبعته الأولى عن هيئة (أبو ظبي) للسياحة والثقافة، (كلمة) سنة ١٣٤٣هـ = ٢٠١٣م.

(١/ ١) وقد تضمن هذا الكتاب مقدمة وواحدًا وعشرين فصلًا، كما يلي:

١- الترس وشكله/ ٢. القائمة والكتالوج/ ٣. القائمة البصرية/ ٤. ما لا يوصف/ ٥. قوائم الأشياء/ ٦. قوائم الأماكن/ ٧. قوائم وقوائم/ ٨. التبادلية بين القائمة والشكل/ ٩. بلاغيات التعداد/ ١٠. قوائم العجائب/ ١١. المجموعات والكنوز/ ١٢. غرفة العجائب/ ١٣. التعريف عبر قائمة الخواص مقابل التعريف عبر الجوهر/ ١٤. التلسكوب الأرضي/ ١٥. الإفراط في رابلييه فصاعدا/ ١٦. الإفراط المترابط/ ١٧. التعداد الفوضوي/ ١٨. قوائم الإعلام/ ١٩. القوائم اللانهائية/ ٢٠. التبادلات بين القوائم الشعرية والعملية/ ٢١. القائمة غير الطبيعية.

يفتتح إيكو كتابه مقررًا أن كتابه هذا جاء استجابة لدعوة تلقاها من إدارة متحف اللوفر؛ ليشارك في فعاليات ثقافية وفنية في نوفمبر ٢٠٠٩م، وتركت له تعيين الموضوع واختياره؛ يقول (ص ٩): "حين دعتني إدارة اللوفر كي أنظم - طوال شهر نوفمبر من عام ٢٠٠٩م - سلسلة من المؤتمرات، والمعارض، وجلسات القراءة للجمهور والحفلات الموسيقية، وعروض الأفلام، وغيرها من الفاعليات المشابهة التي تختص بموضوع أختاره بنفسي = فإني لم أتردد لحظة، وتقدمت من فوري بموضوع "القائمة"، (و) ستتناول موضوعي: الكتالوجات والتعداد أيضًا"!

(١/ ٢) وهذا الكتاب بهادته وتصميمه وإخراجه والحافز الذي حفز إليه صالح لأن ينتمي إلى مجموعة من الانتماءات المعرفية بتحكيم هذه المعايير، مضافًا إليها مجموعة أخرى من المعايير، من مثل: الوظيفة أيضًا.

وفي ما يلي محاولة بيان بعض من هذه الانتماءات المعرفية التي تعين القارئ أو المستعمل العربي على استثماره المعاصر:

أولًا: البحث المعجمي والمراجع:

استقر النظر - وما زال في بعض الأدبيات - إلى القوائم على أنها أعمال معجمية غير ناضجة، وهذا النظر يحملنا على إدراج هذا الكتاب ضمن دراسات البحث المعجمي، وهو ما يمكن أن يطور هذه النظرة.

إن كتاب لا نهائية القوائم يعيد الاعتبار والتقدير للقوائم، ويعدها أعمالًا مستقلة توازي الأعمال المعجمية الناضجة، وأنها تنهض بعدد من الوظائف والمقاصد المستقلة عما تنهض به المعاجم الكاملة.

إن هذا الكتاب يوشك أن يتحول بالقائمة لتكون عملًا مرجعيًّا متميزًا عن المعاجم والموسوعات؛ ومن ثم فإن عناية أمبرتو إيكو بالقوائم ربما فتحت الباب أمام إدراجها ضمن المراجع؛ لاعتبارات كثيرة متوافرة، يمكن إجمالها في:

أ. القوائم مفاتيح معرفية.

ب- القوائم أوعية معلومات.

ج- القوائم مدونة متنوعة الاستعمال؛ علميًّا وفنيًّا.

إن العنصرين الأول والثاني (أ، ب) هنا شائعان في دراسة المراجع عند المعاصرين، كما يقرر الدكتور عبد الستار الحلوجي والدكتورة منى شاكر عبد اللطيف [مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، ص ظهر الكتاب].

وما يعكس هذا الانتماء ممتد في الكتاب كله؛ إذ توقف إيكو أمام عدد كبير من أنواع القوائم، وفحص محتوياتها، ولاسيما وهو يستدعي في تحليل عدد منها معطيات نظرية المجموعات، على ما يظهر مثلًا من تحليله لقائمة بورخس (ص ٤٦٣) الخاصة بالحيوانات.

ثانيًا: الأدب وتاريخ الأدب:

ينتمي هذا الكتاب إلى الأدب بمعناه الضيق الدائر حول الإبداع الشعري والنثري؛ حيث كان الحافز الأساسي وراء تفكير إيكو في تصنيف هذا الكتاب هو ذلك التوظيف من جانب جنس الرواية تعيينًا للقوائم على امتداد الزمان، يقول إيكو (ص ٩): "إذا قيض (لامرئ) ***قراءة رواياتي*** فإنه سيجدها ***تغص بالقوائم***، وقد تمثلت أصول هذا الولع في مادتين درستهما شابًّا، وهما: النصوص القروسطية، وأعمال جيمي جويس ... وبينما كان هذا الأمر واضحًا وضوحًا كبيرًا لدي - فإني لم أضع على عاتقي قط الاضطلاع لإعداد سفر يضم بين دفتيه الحالات غير المتناهية التي يقدم ***تاريخ الأدب*** أمثلة عليها، بدءًا من هوميروس، ومرورًا بجويس، وانتهاء بوقتنا الحاضر".

إن هذا الاعتراف بالولع الكامن خلف إنجاز إيكو مرتكز على ما يلي:

أ- نماذج القوائم المستثمرة في أعماله الروائية المختلفة.

ب- ما لاحظه من استثمار النصوص الإبداعية القصصية والروائية المتواصلة من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، لمجموعات من القوائم المتنوعة الموظفة بطرق فنية.

ج- التتبع التاريخي لأنواع القوائم المستثمرة في الأعمال الأدبية في تاريخ الآداب من زمان الإغريق إلى الوقت الراهن.

وهذه المرتكزات الثلاثة التي تلوح من وراء ستائر تحليل هذه الفقرة المنقولة من مقدمة: لا نهائية القوائم لإيكو، تصنفه ضمن كتابات الأدب وتاريخه بامتياز.

ثالثًا: السيميائية (علم العلامات):

إن بناء كتاب إيكو (لا نهائية القوائم) على اللوحات والرسوم بشكل تأسيسي يدرجه ضمن كتابات السيميائية؛ ذلك أن هذه القوائم البصرية واللوحات الفنية تتجاوز الحدود الضيقة لكي تكون علامات ذات دلالات متنوعة، تعتمد في تحليلها على السياقات الزمنية والتاريخية والاجتماعية.

إن هذا الكتاب – بما ضمه من لوحات وقوائم برية – يعد مدخلًا لفهم النظام الكوني في الغرب؛ ذلك أن السيميولوجيا هي علم الإشارة الدالة، مهما كان نوعها وأصلها، وهذا يعني أن النظام الكوني – بكل ما فيه من إشارات ورموز – هو نظام ذو دلالة على حد تعبير الدكتور مازن الوعر في تقديمه لكتاب بيير جيرو: علم الإشارة السيميولوجيا [ترجمة الدكتور منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سنة ١٩٨٨م (ص ٩)].

ومن ثم فإن ما ضمه الكتاب من رموز موزعة على تاريخ ممتد، وما جاء حولها من تحليلات، يمثل مقدمة – بصورة من الصور – لدراسة الحياة الأوربية من منظور سيميائي.

رابعًا: تاريخ أوربا الثقافي:

إن هذا الكتاب بما ضمه مما يلي:

أ- عشرات اللوحات وتحليلها.

ب- عشرات القوائم وتحليلها.

ج- عشرات النماذج الأدبية والروائية والشعرية الأوربية التي استثمرت عددًا كبيرًا من القوائم، يمكن أن يكون مقدمة لقراءة تاريخ أوربا الثقافي.

إن كثيرًا من هذه اللوحات التي ألحقها إيكو بكتابه تمثل تصويرًا فنيًّا بديعًا من جانب، لكنها تصوير لرؤية الإنسان في القارة العجوز للوجود والكون والحياة والأحياء، ما يجعل هذا الكتاب – بما ضمه مما أخبرتك به – مدخلًا حقيقيًّا لتاريخ العقل الأوربي.

لقد ضم هذا الكتاب نظرة الأوربي للحياة، وللأباطيل، وللمدرسة، وليوم القيامة (الدينونة)، والحياة البحرية وللعلويات، وللسوق، والعالم بقاراته المختلفة في التصور الجغرافي القديم، وخرائطه، وحيواناته، وتصوراته للحياة الدينية، وللمقدسات، والطقوس،

وتاريخ الأنبياء، وأنسابهم، وللطوفان، وللمواد المعروفة في التصنيف للعناصر الكيميائية؛ إلخ، كل ذلك من خلال مجموعة ضخمة من اللوحات الفنية التي تصور نظرة الأوربي للحياة والوجود والكون معًا على امتداد تاريخ هذا الإنسان فوق هذه الأرض.

وليس من مسوغ لانفتاح هذه القراءة على العالم؛ ذلك أن إيكو حدد النطاق المكاني لدراسته بالقارة العجوز = أوربا، وهو التعيين الوارد من العنوان الجانبي للكتاب: (من هوميروس حتى جويس)، وهما شاعران أو أدبيان بالمعنى المتسع للشعرية والأدبية في تاريخ أوربا، وهما علامتان تضمان - في الفترات الواقعة بينهما - أجيالًا عظيمة من المؤرخين والفنانين والكتاب والشعراء والقصاصين والروائيين والمسرحيين، وغيرهم.

خامسًا: بلاغة الصورة:

صح أن هذه الكتاب - بما ضمه من لوحات، ورسومات - كنز ضخم للعلامات المرئية، غير اللغوية visual sign، وهي كيانات تشكلها عناصر ثلاثة، هي:

أ- الدال (الصورة المادية).

ب- المدلول (المفهوم من الصورة).

ج- المرجع (العائد عليه الصورة في الواقع الخارجي).

على حد تعبير كتاب (بحث في العلاقة المرئية: من أجل بلاغة الصورة) [لمجموعة (فرانسيس إدلين، وجان ماري كلينكنبرغ، وفيليب مانغيه) ترجمة: د. سمر محمد سعد، ومراجعة خالد ميلاد، ص ٥٦٨)].

وعلم بلاغة التواصل المرئي: "تأسيس نظري يرمي إلى كيفية اشتغال المنظومات البلاغية داخل السيميائية، وإلى أي مدى يمكن تطبيقها على الإيقوني والتشكيلي"، كما تقرر مجموعة مو (ص ٥٥٦).

وفي هذا الكتاب كنز من الصور الإيقونية والتشكيلية، تمثل مادة خام وتأسيسية عميقة في بلاغة التواصل المرئي في الثقافة الأوربية على امتداد تاريخها من الحضارة الإغريقية حتى الحضارة الحديثة.

سادسًا: الببليوجرافيا المصورة:

يعقد إيكو الفصل الثاني: القائمة والكتالوج (ص ١٧- ٤٠)، وهو إذ فعل يدخل بنا مباشرة إلى التفريق بين:

أ- القائمة اللفظية (list).

ب- القائمة المصورة (catalog).

وإيكو يقرر أن الكتالوج يقوم بعملية تمثيل للوجود من طريق نمط تمثل فيه الصور والرسومات المركز والمحور الأساسي.

وهذا الكتاب يمثل نموذجًا ممتازًا لدراسة في الببليوجرافيا التحليلية للمنجز الأوربي، من خلال تحليل هذه القوائم المصورة أو الكتالوج الضخم.

سابعًا: تاريخ الفن في أوربا:

يقول إيكو في (ص ١٧): مهما يكن من أمر فثمة أنموذج آخر من التمثيل الفني؛ وأعني بذلك أننا حين لا نعرف حدود ما نأمل في تصوير، ونجهل عدد الأشياء التي نتحدث عنها، فإننا نفترض أن عددها، إن لم يكن لا نهائيًّا، فإنه على أقل تقدير - كبير بصورة فلكية ... فما انفك تاريخ الفن يردد ذلك"!.

في هذه الفقرة يتضح الربط الجلي بين هذا الكتاب بتاريخ الفن في القارة الأوربية. إن مئات اللوحات التي ضمها الكتاب على امتداد تاريخ أوربا من قبل الميلاد إلى العصر الراهن تمثل كتالوجًا يؤرخ لتطور الفن فيها.

هذه مجموعة من الحقول المعرفية يمكن للكتاب أن ينتمي إليها، وأن يعد مصدرًا يسهم في تغذية الدرس المرتبط بها.

صحيح أن بينها تفاوتًا من جهة درجة العائد الاستثماري على المستعملين المعاصرين في الحقول المعرفية المختلفة، لكنها جميعًا - مع إقرار هذا التفاوت - ظاهرة القيمة، ليس فيها شطط في بيان العلاقات التي تحكم بانتماء كتاب (لا نهائية القوائم) إليها جميعًا.

وهي جميعًا كاشفة عن الآفاق الرحبة التي تمدد فيها الدرس الأدبي والسيميائي واللساني المعاصر في أوربا؛ بفعل مجموعة من العوامل المعينة على تمدده، من مثل:

أ- رعاية مقامات التراكم المعرفي.

ب- احترام الروابط بين الحقول المعرفية، وتوسيعها.

ج- تنمية العلاقات المعرفية بين المؤسسات الثقافية والأفراد من ذوي الكفاءات العلمية.

د- مناخ الحرية البحثية الممتاز، الذي تتيحه السياسات الأوربية للدارسين والباحثين.

هـ- تشجيع الدراسات البينية، ودعم معاملها ومختبراتها.

و- جسارة العقل الأوربي، وهجومه على المناطق الفارغة على خرائط البحث العلمي، وهي جسارة أتته من تاريخ عريق من الشجاعة البحثية.

(٢) القوائم: هل تكون نوع مستقلاً من المراجع؟:

إن تحليل كتاب إيكو: لا نهائية القوائم، يكشف عن أنواع من القوائم، يمكن حصرها في ما يلي:

أولًا: القوائم اللفظية.

ثانيًا: القوائم البصرية.

وهذا النوع من القوائم البصرية يقول عنه إيكو (ص ٤٨): "ومن الممكن أن يقع المرء من حيث المبدأ على القائمة في أشكال فنية أخرى"!.

وإذا كان المرجع في التصور المبدئي له وعاء للمعلومات بالأساس، فإن التحليل العلمي لجنس القوائم (اللفظية والبصرية) بما تحتوي عليه من معلومات، وتصورات للحياة والأحياء، والوجود والكون - يقود إلى الإقرار بأن القوائم يمكن أن تشكل نوعًا مستقلًا من المراجع.

وربما يدعم هذا التوجه من جانبنا مجموعة من القرائن التي تتبدى من وراء قراءة كتاب إيكو قراءة فاحصة دقيقة متأنية.

إن ثمة أنواعًا للقوائم تلوح من خلف تحليل البنية العميقة لكتاب إيكو، وهي أنواع تتعدد تبعًا للاعتبارات المختلفة، كما يلي:

إن القوائم - بما هي جنس مرجعي مستقل - يمكن أن تقسم تبعًا لاعتبار العملي والفني إلى النوعين التاليين:

أ- القوائم العملية/ البرجماتية.

ب- القوائم الشعرية/ البويطيقة، يقول إيكو (ص ١٣١): "ونعني بهذا المصطلح الأخير (أي: الشعرية)؛ أي غاية فنية كانت وراء اقتراح القائمة، وأي شكل فني استثمر للتعبير عن هذه القائمة".

وربما أمكن تقسيم القوائم مرة أخرى، تبعًا لاعتبار المادي والمجرد إلى النوعين التاليين أيضًا:

أ- قوائم الأشياء.

ب- قوائم المجردات، أو المتخيلات.

وبالإمكان تقسيمها أيضًا قسمين آخرين، هما:

أ- قوائم الواقعيات. ب- قوائم العجائب.

ثم يعود إيكو في الفصل الذي عقده للحديث عن: قوائم وقوائم (ص ١٣١- ١٤٨)؛ ليقرر أن كل نوع من هذه الأنواع صالح لأن يقسم أقسامًا كثيرة؛ فالقوائم العملية أو البرجماتية، تتوزع على ما يلي:

أ- قائمة التسوق.

ب- قائمة الضيوف المدعوين إلى حفلة ما.

ج- قائمة جرد الأشياء الموجودة في مكان ما.

د- قائمة الأصول أو الممتلكات.

هـ- قائمة المطعم.

و- قائمة المناظر في دليل سياحي.

وغير ذلك كثير من الفروع، لدرجة أن إيكو يعتبر المعجم قائمة عملية/ برجماتية، يقول (ص١٣١): "ويمكننا أن نمثل على القائمة العملية بقائمة التسوق، وقائمة الضيوف المدعوين إلى حفلة، وكتالوج المكتبة، وقائمة جرد الأشياء الموجودة في أي مكان؛ مثل المكتب، أو المركز الأرشيفي، أو المتحف، وتضاف إلى ذلك قائمة الأصول أو الممتلكات في

وصية، أو فاتورة السلع التي تتطلب التسديد، وقائمة المطعم، وقائمة المناظر الطبيعية في دليل سياحي، وحتى المعجم الذي يحوي بين دفتيه كل مواد لغة بعينها"!

ويعين أمبرتو إيكو ثلاث وظائف لجنس القائمة، تدعم استقلالية كونها نوعًا قائمًا بذاته من الأعمال المرجعية، هي:

أولًا: الوظيفة الإحالية، فهي تحيل بكلمات على الأشياء في العالم الخارجي .. إنها تحقق وظيفة عملية خالصة في تسمية الأشياء.

ثانيًا: الوظيفة التسجيلية؛ أي " أنها تسجل الأشياء المعروفة والموجودة فعلًا".

ثالثًا: الوظيفة التاريخية والأخلاقية، ويقصد بها: أن هذه القوائم لا تتغير، وهو ما يعني – على تعبير إيكو (ص ١٣١): "أن من غير الأخلاقي وغير المنطقي أن يضمن كتالوج لأحد المتاحف لوحة غير موجودة".

إن مجموع هذه القرائن تحمل قارئ كتاب: لا نهائية القوائم على الاقتناع بأن القوائم باتت قريبًا من الإعلان عن ميلادها عملًا مرجعيًّا متمايزًا من جهات مختلفة، يمكن إجمالها في ما يلي:

أولًا: الخصائص الفارقة المائزة لها من غيرها من الأعمال المرجعية.

ثانيًا: القابلية للتنوع والتقسيم والتفريع.

ثالثًا: التنوع الوظيفي والمقاصدي.

(٣) القائمة وخصائصها بما هي مرجع!:

إن النظر إلى القائمة بأنواعها المختلفة والمتمايزة معًا – بما هي نوع مرجعي مستقل – له حضوره الظاهر في الثقافات المختلفة، لن يستكمل حضوره إلا بعد رصد خصائصه الفارقة.

وإذا كان قد استقر النظر إليها من زاوية كونها عملًا مرجعيًّا موازيًا للمعجم، وليس أقل منه في التطور والنضج – فإن إدراجه ضمن الأوعية التي تتضمن المعلومات وتحتويها.

إن القوائم تسعى إلى تعريف الأشياء من خلال تعريفها بما يكشف عن هويتها، برصد سماتها الكاشفة والفارقة معًا، يقول (ص ٢٤٧): "تمثل حلم الفلسفة والعلم منذ أيام الإغريق فصاعدًا في معرفة الأشياء وتعريفها عبر إبراز جوهرها؛ فلقد كان تعريف الشيء في جوهره

ماثلًا منذ أرسطو في القدرة على تعريف شيء بعينه بوصفه فردًا في صنف ما، وهذا الصنف بدوره عنصر في جنس بعينه".

ومن ثم فإن أهم ما يميز عمل القوائم هو أنها تمدنا بمعرفة الأشياء من طريق تعريفها عبر الخواص.

إن القوائم تمدنا بتعريفات للأشياء التي نفتقد معرفة جوهرها، يقول (ص ٢٤٨): "ونحن نستعمل التعريف بذكر الخواص حين لا نمتلك تعريفًا جوهريًّا، أو إذا لم يف هذا الأخير بحاجتنا؛ ومن هنا فإن التعريف الأول (بذكر الخواص) ملائم للثقافات البدائية التي ما زالت تعتمد على بناء تسلسل هرمي للأجناس والأنواع، كما أنه ملائم للثقافة الناضجة، وربما تلك المأزومة".

ومن ثم فإن القوائم بإمكانها أن تسهم في تطوير الحقول التالية:

أولًا: التعليم في المراحل المبكرة التي يناسبها ذكر الخواص العارضة للأشياء عند تعريفها عند صعوبة تعريف الأشياء تعريفًا جوهريًّا يأتي على ذكر جوهر ماهيتها العلمي.

ثانيًا: تبسيط العلوم؛ سعيًا لنشر الثقافة العامة، وتحديدها؛ طلبًا لترقية الوعي العام بالعلوم.

ثالثًا: تنمية الذكاء العام للفئات المتراجعة علميًّا.

رابعًا: تقريب الفجوة المجتمعية بين اللغة العلمية المتعالية المغلقة، والثقافة الشعبية العامة.

إن القائمة – والوضع كما نرى – بإمكانها أن تتقدم لتقدم خدمات جليلة لم يستطع حتى الآن كثير من أنواع الأعمال المرجعية القيام بها، ولاسيما في إطار تنامي القوائم البصرية تعيينًا.

(٤) القوائم: من الطريق لإدراك العالم إلى الطريق لخلقه!:

(٤/ ١) إن تحليل مجموعات القوائم التي أوردها أمبرتو إيكو في كتابه: لا نهائية القوائم، تقود إلى الإيمان بأن الفحص الدقيق لمجموعات هذه القوائم يمثل طريقًا لإدراك العالم من وجهة نظر أوربية، يقول إيكو (ص ١٤): "فالسرد يخبرنا – سواء جاء عبر الكلمات أو

الصور- أن العالم الحقيقي أو العالم المتخيل، مثل عالم الحكايات الخرافية أو الخيال الشعري = يمتلك مواضيع أو وضعيات من هذا النوع أو ذلك".

وقيمة هذا النقل ظاهرة في أنه جاء في الفصل الافتتاحي الذي عقده لتحليل تُرْس أَخِيل الذي يمثل نوعًا من التجلي للشكل والطريقة اللتين يتدبر الفن عبرهما بناء التمثيلات المتناغمة التي تؤسس النظام".

وتتبع فصول الكتاب كاشف عما يلي:

أولًا: كثير من القوائم تمنحنا فكرة واضحة عن الثقافة الزراعية/ والحيوانية/ والحربية وغيرها.

ثانيًا: كثير من القوائم تعيد تمثيل العالم تمثيلًا فنيًّا في عصرها الذي أنتجها، يقول إيكو (ص ١٧): "لقد كان هوميروس (مثلًا) قادرًا على بناء تخيل/ شكل مغلق ... فهو يفقه العالم الذي يتحدث عنه، ويعرف قوانينه، ومسبباته وعواقبه، ولهذا كان مقتدرًا على إعطائه شكلًا"!.

ثالثًا: كثير من القوائم تعطينا وصفًا حيًّا للعالم، ولاسيما في تأمل وظائف القوائم البصرية.

رابعًا: كثير من القوائم - مما يعرف بقوائم الأماكن - يهب المثقف المعاصر وعيًّا بالحدود المادية/ الفيزيائية للعالم في عصور إنتاج هذه القوائم، فضلًا عما تمثله من معان تتجاوز الإدراك الفيزيائي للعالم إلى إدراك كثير من القيم المرتبطة بالمادة فيه.

خامسًا: ينبه إيكو إلى أن كثيرًا من القوائم (اللفظية/ والبصرية) تمثل تمثيلًا روائيًّا وقصصيًّا للعالم يمكن تحليله بلاغيًّا.

سادسًا: تجاوز القوائم إلى العجائب: يقرر إيكو أن كتاب بولونيوس: التاريخ الطبيعي (ص ١٧٣): "لن يكون سوى قائمة"، تضم ذكر: السماوات/ والجغرافيا/ والديموغرافيا (السكان)/ والإثنوغرافيا (الأعراق وعاداتها)/ والأنثروبولوجيا (علم الإنسان) وفسيولوجيا الإنسان (علم الأعضاء/ وعلم الحيوان/ وعلم النبات والزراعة والبستنة/ ودستور الأدوية والطب والسحر ... والمعادن والعمارة والفنون التشكيلية، مقيمًا ضربًا من التراتبية من الأصل إلى الفرع، ومن الطبيعي إلى المصطنع"، وهذا هو المدخل إلى العجائبي في

القضية؛ الأمر الذي يفتح المجال أمام انطلاق المخيلة الإنسانية؛ سعيًا نحو التخلص من مشكلاتها المأزومة الواقعية.

ومن هذه النقطة تبدأ القوائم تقديم خدمتها الجليلة الأخرى المتمثلة في خلق التصورات.

(٤/ ٢) إن جزءًا كبيرًا من قوائم كتاب إيكو - بأنماطها المختلفة - يمكن استثمارها في تحليل عمل العقل الغربي الفنان في إدراك العالم.

غير أن ثمة جزءًا كبيرًا من هذه القوائم أيضًا يمكن أن تقرأ تحليلًا في سياق تخليق العالم، وبناء تصوراته المتخيلة؛ سعيًا إلى مضاعفة الشعور باللذة من جانب، وسعيًا إلى تجاوز المشكلات الضاغطة للواقع في كثير من مناطق تأزمه وهزائمه! وسعيًا من جانب أخير لتطوير الحياة، ولاسيما في مجالات العمران والأغذية والطب وأنواع المباهج الأرضية، وهو الأمر الذي أنتج ما يسمى بالقوائم المفرطة.

إن المرء لا يتجاوز عندما يقرر أن كثيرًا مما شهده العالم في عصور لاحقة كان تجليًا لمنجز سابق، استلهمه اللاحقون من عمل السابقين، وانطلاق مخيلاتهم بالعجيب.

لقد مر تأليف القوائم بمرحلتين، يمكن التمييز بينهما في ما يلي:

أ- المرحلة الأولى القديمة التراثية: قامت فيها القوائم بممارسة دور تعويضي عند فقد الكلمات أو اللسان في سياق فني ما.

ب- المرحلة المعاصرة: ظهرت فيها القوائم استجابة لمطالب الإفراط "والشره الكلامي؛ سعيًا وراء العلم المبهج" على حد تعبير إيكو (ص ٣٨).

خاتمة:

لم يكن كتاب إيكو هو الأول في المكتبة الأوربية التي يعالج موضوع القائمة، لكنه مسبوق بعدد، وإن يكن قليلًا من الأدبيات، من مثل:

أ- كتاب روبرت إمي في كتابه: القائمة، جامعة ييل ٢٠٠٤م.

ب- وكتاب فرانسيس سبافورد: القوائم في الأدب ١٩٨٩م.

وهو ما يعني أن المجال مرشح للزيادة والتعميق في هذه الثقافة.

أما في الثقافة العربية، فإن فراغًا رهيبًا يهيمن على هذا المشكل البحثي، مع أنه بالإمكان أن يضيف فحص موضوع القوائم في الثقافة العربية الإسلامية آفاقًا جديدة لهذا المشكل البحثي، ولاسيما ونحن نملك أنواعًا مستقلة من القوائم اللفظية والبصرية في الميادين التالية:

أولًا: رسوم تصوير المخطوطات في التراث العربي الإسلامي.

ثانيًا: القوائم اللفظية الممتدة لأنواع كثيرة من المعلومات، والممتلكات في كتب السيرة النبوية، والسير الذاتية للقيادات والزعامات الدينية والتاريخية والعلمية.

ثالثًا: قوائم الكتب الطويلة في مصنفات الببليوجرافيا العربية التراثية والمعاصرة.

رابعًا: كتالوجات الفن المعاصرة.

إن المجالات ما تزال تعاني فراغًا يدعو البحث المعاصر في الثقافة إلى التقدم للتعاطي معها.

المراجع:

لا نهائية القوائم: من هوميروس حتى جويس، لأمبرتو إيكو، ترجمة: مصطفى أبو الهيجاء، مراجعة الدكتور أحمد خريس، هيئة (أبو ظبي) للسياحة والثقافة، كلمة، ٢٠١٣م.

***

٤/٣
فهم فرديناند دوسوسير وفقًا لمخطوطاته
مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات
مراجعة علمية نقدية

مدخل: فرائض تقدير الأبوة الروحية لرائد اللسانيات المعاصرة:

تبدو قضية الوفاء العلمي لرائد اللسانيات المعاصرة - بوصفها عملًا غربيًّا بامتياز - ماثلة في معاودة الحفاية بمنجز هذا الرائد الفذ من منظور عملي، يعيد ***فحص*** منجزه، وقراءته قراءة تستهدف إعادة البناء، وتستهدف الضبط، والتقويم لما شاع وانتشر من أفكاره اللسانية العابرة للاختصاصات.

وتعيد قضية الوفاء لهذا الرمز التذكير بما يشغله من مساحات في الوعي المعاصر، أحد أهم المؤسسين للسانيات والسيميائيات، إن لم يكن أهمهم بإطلاق.

وفرديناند دوسوسير ١٨٥٧ - ١٩١٣م رمز حقيقي للتغيير الجذري الذي يستند إلى خلفية معرفية مكتنزة، ومنهجية نقدية تملك القدرة على إحداث تحولات عميقة جدًّا من نوع الاكتشافات بقدر واضح، من أمرين ظاهرين بصورة مذهلة يبدوان فيما يلي:

أولًا: الإدارة الواعية للذات، واختيار المواقف، ***والتأنِّي*** لحماية الاكتشافات العلمية من شغب دعاوى التأثير والتأثر.

ثانيًا: الشجاعة العلمية القادرة على تطوير الأفكار، وتقويم ما يحتاج إلى تقويم، والمراجعة المستمرة للمقولات؛ سعيًا إلى وضوحها، وعقلنتها، وصيانتها ***بسياج*** صلب من ***الأدلة***، وتخليصها من الأفكار السابقة عليها.

وفي هذا الكتاب جملةٌ من التطورات تستهدي بمخطوطات هذا الرائد، تستهدف الوفاء العظيم له بطريقة عملية إيجابية.

كتاب فهم فرديناند دوسوسير وفقا لمخطوطاته: مادته، وانتماؤه المعرفي، وقيمته الحضارية.

١/ ١ مادة الكتاب:

ضم هذا الكتاب المهم مقدمتين وستة فصول، كما يلي:

- مقدمة لويك دوبيكير المؤلف، أستاذ علم المصطلح وعلوم اللغة في جامعة باريس السوربون الجديدة، مؤسس الجمعية الفرنسية لعلم المصطلح، ورئيسها الحالي.

وهذه المقدمة خص بها هذه الترجمة العربية، وحكى فيها جزءًا من معاناة تأمل مخطوطات دوسوسير، التي تمكن من خلالها من تعديل بعض أفكاره اللسانية، وتوضيح بعضها الآخر.

- مقدمة الكتاب العامة.

- الفصل الأول: كل ما في اللسان تاريخ.
- الفصل الثاني: اللسان .. نظام قيم قبل أي شيء آخر.
- الفصل الثالث: مقاربات اعتباطية الإشارة.
- الفصل الرابع: اللسان ووعي الأشخاص المتكلمين.
- الفصل الخامس: واقع اللسان: اجتماعي قبل أي شيء آخر.
- الفصل السادس: لابد من أنها سيميائيات.

(١/ ٢) الانتماء المعرفي للكتاب:

يفتتح تأمل هذا الكتاب، والوعي بموقعه الفكري في طموح اللسانيات المعاصر الذي يوشك أن يكون انفلاتًا حقيقيًّا من مجموع السلطات المتصورة معرفيًّا - السبيل ***أمام*** فحص انتمائه المعرفي.

صحيح أن التصنيف الضيق يضعه في الصميم من حقل اللسانيات، ***لكن*** خطاب أهدافه، ووظائفه، ومنهجية معالجته لأفكار دوسوسير تنجرف به نحو حقول معرفية أخرى، يمكن رصدها فيما يلي:

أولًا: السيميائيات:

يمثل حقل علم العلامات (السيميائيات) الحقل المركزي الأوسع لمنجز دوسوسير، ومن ثم لكتاب لويك دوبيكير: فهم فرديناند دوسوسير وفقًا لمخطوطاته، يقول دوبيكير في خاتمة الكتاب (ص ٢٥٤): "في نهاية هذه المسيرة تظهر شيئًا فشيئًا ضرورة تحديد موقع الإشارة اللغوية بالمقارنة بأنواع أخرى من الإشارات (العلامات، والرموز؛ إلخ)، الأمر الذي يؤدي إلى الانفتاح على "علم لا وجود له في المجالات المعرفية": إنه السيميائيات؛ وهو علم الإشارات العام، وتحتل اللسانيات فيه مركزًا أساسيًّا".

ومن ثم يكون مركز منجز دوسوسير هو السيميائيات، وتمثل الإشارة اللغوية جزءًا من نظام إشارات أخرى أوسع وأشمل.

ثانيًا: الفيلولوجيا:

يعيد هذا الكتاب الجديد الاعتبار للفيلولوجيا، ويمنحنا الثقة الكاملة في الخدمات المعرفية التي ما يزال يرعاها البحث الفيلولوجي.

لقد ***تأسست*** فكرته، حول استثمار مخطوطات فرديناند دوسوسير في إعادة فحص أفكاره اللسانية، وتدقيقها، ومراجعتها، وتحريرها، وبيان النقص الذي أحاط بنشرها من طريق تلاميذه: بالي وسيشيهاي وغيرهما.

ولا تخلو صفحة من صفحات هذا الكتاب من ظهور المؤشر اللغوي الماثل في مفردة (مخطوطات دوسوسير)، الدالة على ما تقرره هنا.

إن كتاب لويك دوبيكير يقرر – في وضوح تام – أن زمان الفيلولوجيا ما يزال مستمرًّا، وأن الخدمات المعرفية التي تمنحها لعصرنا ما تزال كثيرة جدًّا، ومفيدة جدًّا في الوقت نفسه.

وقد نص دوبيكير على ما يدل على وعيه بقيمة الفيلولوجيا، وما أنتجته من إجراءات، من مثل تحقيق النصوص، وتأريخ المخطوطات.

ثالثًا: تاريخ اللسانيات الحديثة:

يوشك أن يكون هذا الكتاب فصلًا مهمًّا في تاريخ اللسانيات الحديثة؛ لأنه يتتبع تاريخ تطور الأفكار اللسانية في منجز المؤسس الحقيقي للسانيات في العصر الحديث.

هذا الانتماء المعرفي لكتاب دوبيكير تظهر علاماته في وعي مؤلفه من ملمحين دالين، هما:

أ. صناعة ملحق مهم يعالج تأريخ أفكار دوسوسير موزعة على السنوات، بدءًا بسنة مولده ١٨٥٧م، وانتهاء بوفاته ١٩١٣م، وعنوان ذلك الملحق: نبذة تاريخية فكرية عن حياة دوسوسير.

ب. صناعة ملحق آخر مهم يعالج تأريخ المدونات المخطوطة بيد دوسوسير، وتلك التي بيد طلابه، بدءًا بسنة صدور مؤلفه المركزي ١٩١٦م الذي وصفه جزئيًّا: ألبير رولينغر، وكتبه شارل بالي، وألبير سيشيهاي، وانتهاءً بنشر المخصص لدوسوسير ٢٠٠٣م، برعاية سيمون بوكيه.

وقد استقر في ترسيم حدود اللسانيات المعاصرة، النظر إلى تاريخ علم اللغة بوصفه فرعًا من اللسانيات، وواقعًا في الصميم من هذا الحقل المعرفي.

رابعًا: أنساق التأليف:

فحص هذا الكتاب يكشف عن استعادة نوع عريق من الأنساق التأليفية، كان فاشيًا وشائعًا بصورة ظاهرة في تاريخ العلم في حضارة العرب، وهو نسق التأليف على منوال "الحاشية".

إن كتاب (فهم فرديناند دوسوسير وفقًا لمخطوطاته) للويك دوبيكير يعيد إحياء نسق الحاشية في تتبعه لنصوص دوسوسير، كما جاء في نسخ مخطوطاته المختلفة؛ شارحًا، ومعلقًا على مضامينها الفكرية اللسانية، ومرجحًا لما يظهر من تعارضات القراءة، ومدللًا على صحة استنباطاته، وترجيحاته بصورة تعيد للدارسين منهجيات بناء الحواشي التراثية؛ بما هي نسق من أشهر أنساق التأليف المتوارثة في كثير من الحضارات، ولا سيما حضارة العرب.

ومن النصوص الدالة جدًّا على ما نقرره هنا قول دوبيكير (ص ٤٦): "يجب التقيد بالعمل الممحص والدقيق؛ للدخول بمنهجية صارمة في تحليل مخطوطات دوسوسير ... من هذا يجب العودة دائمًا إلى المخطوطات نفسها، وإلى قراءتها مئات المرات حتى الإرهاق. ويجب القيام بذلك ليس عبر تأمل محتواها فحسب، بل عبر استنطاق إخراج الصفحة أيضًا، أو ترتيب الكتابة، أو الإضافات، أو الشطب؛ فكل شيء له معنى".

إن إطالة النفس في تأمل النسخ الخطية، ودراسة مضامينها، ودراسة مسوّدات المخطوطات "والبقاء أقرب ما يمكن من سياق الجزء" الذي يشرحه المؤلف – كلها عمليات وإجراءات شديدة الاستقرارية في بناء المؤلفات من نسق الحواشي.

وكل ذلك يجعل كتاب لويك دوبيكير حاشية بالمعنى الحقيقي على المعلومات اللسانية التي حملتها مخطوطات دوسوسير، ومخطوطات طلابه التي دونوها وراءه!.

وربما فتح هذا الكتاب الباب أمام حقل جديد للإنسان من التأليفية المقارنة، لفرع من فروع دراسات الأدب المقارن بالمعنى الواسع لهذا الاصطلاح.

(١/ ٣) قيمة الكتاب:

إن هذا الكتاب – في ترجمته العربية – يعكس مجموعة من الملامح المهمة التي تكشف عن قيمة حقيقية ومجالات معرفية متنوعة، وهذه الملامح الكاشفة عن قيمته يمكن رصدها فيما يلي:

أولًا: موقع منجز فرديناند دوسوسير ١٨٧٥ – ١٩١٣م في اللسانيات المعاصرة، والسيميائيات.

ثانيًا: إعادة الاعتبار للمخطوطات التي اكتشفت بخط دوسوسير وخط طلابه.

ثالثًا: النتائج المهمة التي أفرزها تحليل مخطوطات دوسوسير في ضبط أفكاره اللسانية والسيميائية، وفي الكشف عن التطورات المهمة في هذا الميدان.

رابعًا: المنهجية الدقيقة التي قامت على المعايير التالية:

أ. اعتماد مخطوطات دوسوسير ومخطوطات طلابه، وهو معيار مهم جدًّا، يعرف بجمع النسخ الخطية.

ب. تأريخ المخطوطات. والمخطوطات المؤرخة قيمة أساسية في رصد التطور التاريخي لأفكار دوسوسير اللسانية.

ج. تحليل الإضافات، والشطب، واعتماد المسّودات في قراءة مضامين المخطوطات.

د. استصحاب السياق المصاحب للنصوص الأساسية في نظرية دوسوسير اللسانية.

هـ. مراعاة التعارضات، ومحاولة تفسيرها في ضوء القرائن والشواهد التاريخية والسياقية المختلفة والمطيفة بمجموع نصوص دوسوسير.

خامسًا: إعادة الاعتبار لعلم الفيلولوجيا، وعلم النشر النقدي للنصوص، أو ما يعرف في التقاليد العربية المعاصرة باسم تحقيق النصوص التراثية، يقول دوبيكير (ص ٢٥٣): "إن قراءة مخطوطات دوسوسير تقلب موازين عدد من وجهات النظر".

ويقول (ص ٢٥٣): "تسعى المقاربة المعتمدة هنا جاهدة إلى تتبع الترتيب الزمني للمخطوطات، مع المحاولة في أن تبقى قريبة قدر الإمكان من تطور فكر دوسوسير".

ومسألة الاعتماد الأساسي على المخطوطات، وتحقيق نصوصها، وقراءتها، وتحليلها، ومعالجة التعارضات الماثلة بين بعض النصوص، وتحليل الخطوط، والدرس الكوديكولجي/ المادي للمخطوطات، والإضافات الملحقة بعدد من النصوص، وتحليل الشطوب المختلفة، والمسوّدات – كل ذلك يعيد تقدير ما يمكن أن تسهم به الفيلولوجيا في خدمة الحقول المعرفية المختلفة في هذا الوقت من تاريخ العلم.

سادسًا: إعادة تأكيد تجاور أنساق من التأليف، واستمرار القديم منها ***بجوار*** الأنساق التأليفية الجديدة، وهو ما يعني ***عدم اطِّراح*** أنساق بعينها بدعوى قدمها، وانتمائها لزمان بعيد.

سابعًا: تجلي القيمة البيداجوجية/ التعليمية؛ فقد ظهرت من تحليل نصوص ***المخطوطات*** وتفسيرها، وطرد تعارضها، روح بيداجوجية/ تعليمية حقيقية.

فقد كشف هذا العمل عن قيمة استحضار نسق الحاشية التأليفي؛ بوصفه النسق المناسب للغاية المرصودة الماثلة في مراجعة أفكار دوسوسير اللسانية في ضوء مخطوطاته المكتشفة، وفي ضوء مخطوطاته المؤرخة، والماثلة كذلك في ضبط هذه الأفكار اللسانية، وتدقيقها، ورصد تطورها التاريخي.

وهذه الغايات المنشودة لم تكن لتتحقق من دون توظيف لنسق الحاشية التأليفي؛ بما هو نسق يقوم على الإجراءات المنهجية التالية:

أ. تحقيق النصوص التي حملتها المخطوطات.

ب. تأريخ النصوص من خلال تأريخ المخطوطات.

ج. تقدير الإضافات وإضافات الإضافات.

د. تحليل المسوّدات، وتأمل الشطب.

هـ. تقدير السياقات المصاحبة.

و. جمع النصوص المتطابقة تطابقًا جزئيًّا، وملاحظة تحليل التعارضات والترجيح بينها.

ز. شرح نصوص دوسوسير، وبيان مضامينها، وتأويل ما يحتاج إلى تأويل.

ح. مراعاة المصطلحات المترادفة، وشبه المترادفة في منجز دوسوسير اللساني.

من مجموع هذه المحددات تتضح لنا قيمة كتاب لويك دوبيكير في مجال الكشف عن حقول النظرية اللسانية المعاصرة التي رادها فرديناند دوسوسير.

فضلًا عن المكانة العلمية التي يتمتع بها لويك دوبيكير؛ بوصفه المؤسس والرئيس للجمعية الفرنسية لعلم المصطلح.

٢- من الختام تبدأ الحكايات! خلاصات نتائج فحص مخطوطات دوسوسير:

إن قراءة كتاب: فهم فرديناند دوسوسير وفقًا لمخطوطاته، للويك دوبيكير - فضلًا عما منحه من اعتبار الفيلولوجيا - يمنحنا كثيرا جدًّا من التصويبات لكثير جدًّا من الآراء والأفكار اللسانية التي شاعت واستقرت منسوبة إلى مؤسس اللسانيات المعاصرة ورائدها.

وتمنحنا رؤية مترابطة لنظريته اللسانية المحددة، وهذا الهدف واضح تمامًا في تحليلات دوبيكير وهو يقول (ص ٢٥٣): إن "المقاربة المعتمدة ... تهدف إلى استخراج ترابط الأفكار التي قادت دوسوسير إلى نظرية محددة في اللسانيات العامة. هذه النظرية تظهر في النهاية في كل ترابطها، من دون أن يستطيع دوسوسير أن يكتبها في كتاب جميل"؛ أي **مستخرجة** من مخطوطاته.

وفحص مخطوطات المؤسس تكشف عن حقائق أصيلة، تتعلق بمنجزه في تأسيس نظريته في اللسانيات العامة؛ بما هي جزء من علم السيميائيات.

وفيما يلي رصد لما كشف عنه دوبيكير من خلال الترتيب الزمني للمخطوطات، وفحص نصوصها المختلفة:

أولًا: تمثل الإشارة اللغوية (العلامات اللغوية) جزءًا من نظام من إشارات أخرى تحيط بفحصها السيميائيات .. واللغة مركز هذا النظام.

ثانيًا: تكمن حقيقة الإشارة اللغوية في قابليتها للتطور (التحول)، وتنعكس تجليات هذا التطور في الصوت، وهي جماع مركب معقد من شكل ومعنى (قيمة)، الذي يكشف عنه التحليل الصرفي. "وليس من الممكن تحليل شكل دون معناه"، وأن الدال والمدلول متبادلان متوازيان، وهما معًا يكوّنان الواحد بالنسبة للآخر.

ثالثًا: رفض أي ارتكاز لنظرية دوسوسير اللسانية على النموذج الفيزيائي؛ ذلك أنه (ص ٢٥٥): "ليس للسان أي ركيزة في الأشياء؛ فهو ليس مادة".

رابعًا: تقع الاعتباطية - بنوعيها الجزئية والكلية - في الصميم من نظرية دوسوسير؛ بل إنها "تكوّن قاعدته الأساسية".

خامسًا: اللسان في مراجعات مخطوطات دوسوسير "ليس مجرد نظام". وقد ظل يشدد على البعد النفسي للوقائع اللغوية، وهو ما يكشف عن أهمية الوعي في إنتاج اللغة الإنسانية؛ "وإن الشخص المتكلم هو الذي يربط الأشكال بالمعاني، وهو الذي يفسر باستمرار دور القيمة في اللسان".

وهو ما يعني أن اللسان هو ***أساس*** عمل علم النفس.

سادسًا: تكشف قراءة مخطوطات دوسوسير عن حقيقة ساطعة، تقرر أن اللغة هي - في الواقع - مؤسسة، وهذه الحقيقة مرجعها للأهمية التي يوليها المؤسس للبعد الاجتماعي، عندما يقرر أن اللسان إذن شيء اجتماعي للغاية، وهو يتحقق في الكلام.

سابعًا: تكشف تحليلات المخطوطات عن حقيقة حاكمة لإنتاج المعنى؛ فهي تقرر أن المعنى ينتج من السياق اللغوي، والتفسير الذي **يمنحه** المتكلمون لهذا السياق اللغوي.

"وهكذا يلتقي داخل اللسان وخارجه في القيمة (المعنى)؛ القيمة بكونها نتاج اللغة بين الوحدات، هي أيضًا نتيجة التفسير الذي يعطيه الأشخاص المتكلون لهذه الوحدات".

ثامنًا: تكشف المخطوطات عن حقيقة أن السيميائيات هو العلم الواسع الذي يشمل دراسة العلاقات والرموز والمؤسسات، مثل الزواج ***والموضة***؛ إلخ، وحتى دراسة

الأساطير". ويبقى للسانيات "وضع ذو أهمية كبيرة من منظور علم السيميائيات"، لدرجة يقرر معها أن "الواقعة اللغوية ليست لغوية إلا لأنها سيميائية؛ أي محددة في إشارة مكونة من دال ومدلول مرتبطين ببعضهما ... ارتباطًا وثيقًا".

تاسعًا: إن فحص نصوص المخطوطات المؤرخة مفيد جدًّا في إعادة ***تنسيب*** الاكتشافات اللسانية بعد زمان من استقرار نسبتها لمن جاءوا بعد دوسوسير. لقد كشف تحليل هذه المخطوطات من استقرار النظر إلى الشعور بوصفه محددًا أصيلًا في تأسيس القيمة (المعنى). يقول دوبيكير (ص ٢٦٦): "كي يكون من الممكن أن تصنف الوقائع، وأن يحدد لكل واحدة منها مكانها ***الحقيقي*** في اللسان، يجب اعتبار ما يبدو أساسيًّا للشعور"، وهذا الشعور لا يأتي من فراغ.

عاشرًا: تقود قراءة المخطوطات إلى حقيقة مهمة جدًّا، تتعلق باطراح دوسوسير للسانيات التعاقبية؛ فقد رمى جانبًا اللسانيات التعاقبية بصورة متسعة.

إن دراسة الشكل غير منفصل عن المعنى هي الفرضية الصلبة في منهجية دراسة اللسان من منظور تزامني، وربما استدعى ذلك - أحيانًا وفي بعض الأماكن - فكرة القيام بتحليل صرفي تاريخي؛ أي أن المعتمد هو الدراسة التزامنية، وكان المطروح بصورة ظاهرة هو الدراسة التعاقبية.

لقد كشف دوبيكير عن إحساس ظاهر ظل حاكمًا في أفكار دوسوسير، يتعلق بالجهاز الاصطلاحي الذي كان سائدًا للسانيات، وحاجته إلى الاصطلاح؛ مما يعني أن الأجهزة الاصطلاحية تمثل عائقًا في كثير من الأحيان، يمنع من تطوير كثير من الأفكار. يقول دوسوسير (ص٢٦٩): "إن الحماقة المطلقة في المصطلحات السائدة وضرورة الإصلاح؛ وإظهار من أجل ذلك أي نوع من الأشياء هو اللسان، لا تنفك تفسد متعتي التاريخية".

وقد كان دوسوسير - من طرف آخر - مقنعًا ومنطقيًّا عندما استثمر في السيميائيات في برهنة السيميائيات؛ فقد كشف تحليل المخطوطات عن استثمار عدد من الصور لدعم البرهنة، وبناء محاور للتفكير اللساني بشكل مناسب، ولعل أشهر الصور التي استعملها دوسوسير في دعم التأسيس لنظريته في اللسانيات العامة ماثلة فيما يلي:

أ. صورة لعبة الشطرنج (النظام).

ب. صورة الورقة (العلاقة اللغوية بركنيها الدال والمدلول).

ج. صورة السفينة (التطور المستمر للسان).

إن هذه النقاط العشرة تمثل مقدمة لتحصيل المفاهيم الفكرية في تطور اللسانيات، من خلال مراجعة ما استقر منسوبًا لمؤسسها المعاصر فرديناند دوسوسير، وهي مقدمة أشبه بمقدمات الأعمال الدرامية التي تستدعي تقنية النكوص؛ لتتفرغ لرواية الحكاية بتفاصيلها فيما بعد، وصولًا لمرحلة التنوير في هذا العمل الدرامي أو ذاك، وهي مرحلة تفسيرية بامتياز في كثير من الأحيان.

٣- اجتماعية اللسان في المركز:

قادت عمليات تفكيك دوركايم في الحقيقة إلى الكشف عن سهمة أفكاره عن الحقيقة الاجتماعية ***القاهرة*** في المنجز التأسيسي اللساني الذي فجَّره دوسوسير، وهو ما عبر عنه لويك دوبيكير بعبارة: "واقع اللسان الاجتماعي قبل أي شيء آخر" (ص ١٩٣).

والحقيقة أن تأثير دوركايم يتجاوز حدود التأسيس إلى حدود التقنيات لدرجة يمكن أن نرى في الثنائيات الكافية في منجزه الاجتماعي، كما رصدها محمد حافظ دياب في مقدمته لترجمة كتاب: تفكيك دوركايم: نقد ما بعد بنيوي، لجينيفر ليمان (ص ٢١ - ٣١) حضورًا في الثنائيات الواقعة في منجز دوسوسير ***كذلك،*** في مثل: ثنائية الدال والمدلول، وثنائية اللسان والكلام، إلى غير ذلك من ثنائياته الشهيرة.

وتتأسس مركزية اجتماعية ***اللسان*** - كما رصدها دوبيكير - في ***التتابع*** الظاهر لآراء دوسوسير في ***هذا*** الباب كما يلي:

٣/ ١ إن اللغة واللسان ليسا بشيئين طبيعيين، ويؤكد "أن اللسانيات لا يمكنها أن تكون علمًا طبيعيًّا" [ص ١٩٣] في قفز ***شديد*** الظهور، بعيدًا عن النموذج الفيزيائي التفسيري.

وهذا الأمر مرجعه إلى الاقتناع بأن اللسانيات "تنطبق على أعمال إنسانية تتعلق بالفرد والجماعة".

٣/ ٢ اللسان مؤسسة/ سلطة:

يظهر من تحليل مخطوطات دوسوسير أن اللغة مؤسسة لا علاقة طبيعية لها بالأشياء، يقول [ص ١٩٦]: "لكن اللغة والكتابة ليستا مرتكزتين على علاقة طبيعية للأشياء"؛ أي "ليس هناك أي علاقة في أي لحظة كانت بين صوت صفيري ما وشكل الحرف [ء]".

صحيح أن المقارنة بين مؤسسة اللغة والمؤسسات الأخرى تنتج قدرًا من التشابه، لكنها ترتكز على الفوارق و***الاختلاف؛*** مما يجعل مؤسسة اللغة "مؤسسة بحتة"، والحاكم لهذه المؤسسة هو الاجتماع الإنساني؛ بحيث يصبح التفسير الظاهر لمؤسسة اللغة هو أن اللسان مؤسسة اجتماعية؛ فلا يوجد لسان إلا من خلال الكائنات الملموسة والجماعات. ولا توجد مؤسسة اجتماعية أخرى يمكن أن تضاهيه أو تكون مشابهة له [ص ١٩٩].

ويتضح مفهوم المؤسسة عند حضور مفاهيم أخرى كاشفة عنها هي:

أ. الاصطلاح ب. النظام ج. القطع

فاللغة اصطلاح اجتماعي؛ ومن ثم فاللسان إما اجتماعي وإما لا وجود له.

٣/ ٣ لا يمكن استبعاد الفردي:

يقرر دوسوسير حضور قدرة الفرد على استعمال لسان ما، وتحقيقه الفعلي في التبادل الاجتماعي. ومن هنا فإن ثمة واقعة فردية تكتسب القيمة عندما تصبح هذه الواقعة ***الفردية*** اجتماعية.

ومن جانب آخر، فإن إحدى العمليات الأساسية التي تربط بين اللسان والكلام تكمن في البعد النفسي للشخص المتكلم.

إن اللسان بمثابة ***خزان*** الأشكال التي يفكر فيها الذهن أو التي يعرفها [ص ٢٦٦].

أو هو مستودع الأشكال المسموعة والمستعملة ومعانيها، وهو مخزن تعمل فيه الذاكرة. ويصل الأمر بدوسوسير إلى أن يقرر ربط اللسان بما هو مؤسسة، واللسان بما هو نتيجة للعمليات النفسية، وينتج الكلام من استمرار عمليات التبادلات بين الأشخاص المتكلمين، والمعبّر عن هذه التبادلات الدائمة هو القيمة، أو حاصل المعنى.

والذي يمنح هذه العمليات ***تجليها*** الخارجي هو ترابطها في "نظام" من الإشارات، وهو نظام القيم. وأساس القيمة مرجعه للقوة الاجتماعية المتولدة من الوسط الاجتماعي، أو على حد تعبير دوبيكير [ص ٢١٥]: "والواقع أن الجماعة هي التي تخلقها وتعطيها المعنى".

وهو ما يعني أن التنفيذ (اللغوي) يبقى فرديًّا، وأن ما يمنحه ميلاده واعتماده يبقى اجتماعيًّا، وهذا الجسم الاجتماعي هو الذي سيغلب شيئًا فشيئًا.

٣/ ٤ القيمة أو المعنى مولود من زواج الداخلي (الفردي) بالخارجي (الاجتماعي): تكشف تحليلات دوبيكير لمخطوطات دوسوسير أن القيمة أو المعنى تنتج من تفاعل حقيقي بين الفرد ***الذاتي، والجماعي*** الاجتماعي، وهو الأمر الصريح الذي يقرره دوبيكير [ص ٢٢٢] عندما يقول: "النتيجة النهائية هي أن القيمة تتكون من صلة الوصل بين الداخلي والخارجي، فهي بالفعل ما يربط بين الواحد بالآخر.

هذه القيمة لديها حياة مزدوجة، من حياتين:

أ. حياة أولى: تكمن في أن ***هذه*** القيم لا تفتأ تعمل الواحدة بالنسبة للأخرى.

ب. حياة أخرى: تكمن في أنها تتخلق ويعاد تخليقها على يد المجموعة.

إنها حقًّا نتاج جماعي.

وبذلك نرى تمردًا ظاهرًا على النموذج الفيزيقي، فاللسان ليس مادة، ومن ثم فالقيمة ليست نتاج تحكمات المادة.

والمدهش أن يتفجر النقاش حول القيمة - بما هي نتاج اجتماعي - ليصل إلى حدود نفي المجاز، يقول دوبيكير [ص ٩٥]: "إن معنى كلمة ما يتكون من خلال تقابله مع كلمات أخرى ... ولا يمكن أن تكون هناك معانٍ مجازية".

ثم يزيد الأمر وضوحًا عندما يقرر أن "واقع تقابل الكلمات المتشابهة بحد ذاته هو الواقع الوحيد الذي يحدد صواب الاستعمالات المجازية .. إننا ننفي في الواقع كونها مجازية".

وهو ما يعني نسبية المعاني في اللسان.

ولعل هذه النقطة هي المدخل الحقيقي لما أقرره من أن فرديناند دوسوسير هو فاتحة الحدث الحداثي في الثقافة الغربية المعاصرة؛ تأسيسًا على طرحه لمقولة نسبية المعاني. وهي إحدى المقولات التأسيسية لغياب المرجعيات، وتجاوز المعاني، وعدم ثباتها.

وهذه النسبية حاكمة لكل أنواع الوثائق، وهي دليل إضافي لاستمرار تأكيد نفي النموذجين البيلوجي والفيزيائي. إن الوحدة في اللسان وحدة خاصة؛ إذ لا توجد وحدة مادية، فالوحدة اللغوية ليست كما هي الوحدة في علم الحيوان مثلًا.

وصعوبة تحديد المعنى الذي يوشك أن يكون "متاهة"، ربما يفسر لنا تقرير بلومفيلد – فيما بعد – حول عدم إمكان الوصف العلمي للمعنى .. إن بذرة هذا الشطط أو الانحراف واردة من الإيمان العميق بأن الوحدة اللغوية ليست محددة جوهريًّا، على الرغم من ترابط الوحدة والدلالة معًا.

إن الدور أو القيمة يظهر من المميز التصريفي لكل إشارة، وهذه جميعًا مرتبطة بهوية اللسان، وهو ما يجعل المعنى والقيمة المصطلحية مترادفين ترادفًا شبه تام.

وهذا التعيين متعدد الأبعاد ربما يسمح بالدعوة إلى التباحث حول التأثير الاعتقادي المسيحي في التأسيس العلمي للوحدة اللغوية ***وللقيمة*** والمعنى؛ بوصفها أشياء مترابطة ومختلفة معًا.

إن حضور فكرة الأقانيم في حقل العقيدة المسيحية المعرفي ألقى بظلاله على طرح قضية ترابط الإشارة والقيمة والمعنى؛ ***بوصفها*** مفاهيم مترابطة ومتخالفة أو متفارقة معًا.

٤/ ١ اعتباطية العلامة اللغوية: من الكلية إلى الجزئية:

إن عدم الربط الحتمي أو المادي أو **الفيزيقي** بين طرفي العلامة أو الإشارة اللغوية (الدال/ والمدلول) بات من الحقائق اللسانية المعاصرة التي نشرتها اللسانيات الحديثة، بتأثير دوسوسير الطاغي، حتى بات الاقتراب منها بأي درجة من درجات التشكيك نوعًا من الجرأة على اليقينيات.

والمدهش أن الغوص في تحليل مخطوطات دوسوسير – كما يقرر لويك دوبيكير – أفضى إلى ذلك الاقتراب الذي كان بمثابة المحرمات أو الكبائر في الدرس اللساني المعاصر.

لقد كشف التحليل ظهور نوعين من الاعتباطية، هما:

أ. الاعتباطية الكلية.

ب. الاعتباطية الجزئية.

إن الاعتباطية تعني خاصية ما ليس لديه أي ربط ضروري، أو هي خاصية عنصر لغوي أو سيميائي يكون خاليًا من أي رابط ضروري. وفي هذا السياق تفرض صورة (الورقة) حضورها المقرّب لحدود الوحدة اللغوية، المتكونة من (شكل/ ومعنى)، وهذا التصور للوحدة اللغوية بما هو: (مجموعة صوتية + فكرة) غير قابلة للتقسيم في الحقيقة، وهو الفصل الذي إن تصورناه فقدت الكلمة وجودها.

وهذا التصور حاكم لعلم الصرف في اللسانيات السوسيرية؛ بوصفه "العلم الذي يتناول وحدات الصوت المتطابقة مع الفكر؛ والذي يتناول تجمع هذه الوحدات" [ص ١٣٠].

إن الإشارات اللغوية تجمع من انصهار شكل ومعنى.

وهذا التصور يستدعي كذلك صورة (المنطاد) - بما هو شكل مقترح - للتعبير عن حقيقة الإشارة اللغوية بمكونيها؛ فالشكل هو (الدال) وهو غلاف المنطاد، والمعنى (المدلول) هو (الهيدروجين) الذي يطير بالمنطاد.

وأظهر ما تنتجه الإشارة اللغوية هو النظر إليها من منظار الاعتباطية، وهو ما يعبر عنه دوبيكير استنادًا لفحص المخطوطات بقوله: [ص ١٤٠]: "إن المعنى لا يبرز خارج الكلمات، وهو ما يعني أن المعنى اعتباطي، واصطلاحي ومستقل، يقول دوسوسير في مسوّدة إحدى مخطوطاته: "إن قوة الإشارات تكمن في طبيعتها الاصطلاحية، وفي طبيعتها الاعتباطية، وفي طبيعتها المستقلة عن الحقائق التي تدل عليها".

ويخشى دوبيكير من سوء فهمه عن ***دوسوسير***، فيقرر أن الاعتباطية مفهوم تحيط به مجموعة من التحذيرات، هي:

أ. الاعتباطية لا تعني منح الحرية للفرد في اختيار عناصر اللسان؛ فهو خاضع للنظام.

ب. إرث الماضي مفروض على المجتمع؛ بسبب وقائع التطور، ويقرر أن العلاقة الاعتباطية تظهر في علاقات، هي:

١. علاقة الإشارة بالشيء.

٢. علاقة الإشارة بالفكرة من حيث هي عنصر من التفكير.

٣. العلاقة الداخلية للإشارة بين الشكل والفكرة.

٤. د. العلاقة بين الصوت والإشارة الخطية (الكتابية).

وقد كشف دوبيكير عن مجال جديد **يسميه** بحدود الاعتباطية، ويقرر أن الاعتباطية تسود كل مكان، إلا أنه يرى أن المرسل هو من يمنح العناصر اللغوية القيمة والمعنى الواضح؛ مما يعوّض عن الانطباعية بشكل خاص لدى الشخص المتكلم [ص ١٥٠]، كما أن البعد الاجتماعي يقوم بتعويض هيمنة الاعتباطية، وهو الأمر الذي يصل باللسانيات السوسيرية بعد اكتشاف مخطوطات الرائد، إلى أن تقرر أن الاعتباطية "محددة"؛ بسبب ترابط عناصر اللسان. وهذه المناقشة أنتجت أمرين، يمكن التعبير عنهما بما يلي:

أولًا: اعتباطية نسبية.

ثانيًا: اعتباطية مطلقة.

ومما يخفف من هيمنة الاعتباطية ما يعرف بالارتباط التعاضدي/ الارتباطي، أو التعاضد النظمي، ***سواء*** صنعه التداعي في الذهن، أو صنعه تقارب ***السلاسل*** الصوتية بين بعض الكلمات.

كما أن وجود بعض عناصر التبرير أو الارتباط بنظامِ ناتجِ التاريخِ - يُخفف من الاعتباطية.

والتفرقة بين نظامين من أنظمة الاعتباطية - هما: الاعتباطية المطلقة والاعتباطية النسبية المحددة - إنجاز ***حقيقي*** للكشف عن مخطوطات دوسوسير بامتياز.

خاتمة:

تناولت هذه المراجعة العلمية النقدية لكتاب (فهم فرديناند دوسوسير وفقًا لمخطوطاته) للويك دوبيكير؛ إيمانًا بأن المراجعات العلمية أعمال علمية مركبة، تستهدف التحليل، وقد كشفت عن حزمة من النتائج المهمة، نجملها فيما يلي:

أولًا: استمرار الحفاوة بدرس الفيلولوجيا، واعتماده في الأكاديميات المرموقة، وإعلان نهوضه بمطالب العلم في العصر الراهن.

ثانيًا: كشفت هذه المراجعة عن بقاء النسق التأليفي، المتمثل في نسق ***التحشية*** على النصوص الرائدة؛ فهذا الكتاب مثال للحواشي التي ما تزال تعمل عملها في التصنيف المعاصر.

ثالثًا: قاد تحليل مخطوطات دوسوسير إلى ضبط مبدأ اعتباطية الإشارة، وتقسيمها قسمين:

أ. الاعتباطية الكلية المطلقة.

ب. الاعتباطية النسبية المحددة.

رابعًا: كشف ***تحليل*** الكتاب لمخطوطات دوسوسير عن إسهامه المركزي في اللسانيات الحديثة، بحيث ***يمكن*** أن نرى بعض آراء بلومفيلد عن عدم إمكان الوصفي العلمي نوعًا من استثمار ما قرره دوسوسير عن صعوبة الإحاطة بالقيمة أو المعنى.

خامسًا: تجاوز تأثير دوسوسير ميدان اللسانيات إلى ميادين معرفية كثيرة، وظهر من خلال سطوة الاختلافات، وعدم ثبات القيمة أنه ربما كان واحدًا من آباء الحداثة المعاصرين في الغرب.

سادسًا: كشف تحليل ***المخطوطات*** عن نوع من ***معاودة*** التفكير في كثير من الأفكار اللسانية، كان يمارسه دوسوسير إلى قبيل رحيله.

سابعًا: كشف تحليل مخطوطات دوسوسير عن حضور قوي لاستثمار الأمثلة؛ بوصفها وسيلة بيداجوجوية (تعليمية) وحجاجية إقناعية، لم تفقد قوتها مع مرور الزمن، وهو الأمر الذي يظهر في الأمثلة التوضيحية المتمثلة في: لعبة الشطرنج، والمنطاد، والورقة، والسفينة، وقطعة القماش، والجسد والروح، والهواء، والماء؛ إلخ.

ثامنًا: ظهرت حفاوة لويك دوبيكير ***بتطبيقات*** تحقيق نصوص دوسوسير وترميم بعضها؛ للوصول إلى قراءة صحيحة لأفكاره، وهو ما يعني ضرورة العناية بالأثر النقدي للنصوص في الميادين المختلفة.

المراجع:

- تفكيك دوركايم، نقد ما بعد بنيوي، ترجمة: محمود أحمد عبد الله، مراجعة: محمود الكردي، تقديم: حافظ دياب، المركز القومي للترجمة، القاهرة (رقم ٢٠٨٥) ٢٠١٣م.

- فهم فرديناند دوسوسير وفقًا لمخطوطاته، للويك دوبيكير: مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، ترجمة: ريما بركة، مراجعة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

***

٥/٣
المرجع في علم المخطوط العربي
مراجعة علمية نقدية

مدخل:

تعد المراجعات العلمية النقدية - "بما تحتوي عليه من جهد تحليلي تركيبي - أعمالًا علمية في حد ذاتها"[١]؛ فضلًا عما تقدمه إلى مجالها المعرفي؛ من تعميق وتطوير لبحوثه وقضاياه ومسائله.

وهذه المقالة نوع مراجعة علمية لكتاب: المرجع في علم المخطوط العربي، لآدم جاسك، ترجمة الأستاذ: مراد تدغوت، ومراجعة الدكتور: فيصل الحفيان، وإصدار معهد المخطوطات العربية، بالقاهرة ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م × ٥٠٢ ص.

والمنجز في هذا الباب قليل جدًّا؛ إن على مستوى الأدبيات الأساسية المتمثلة في الأعمال المرجعية في مصطلحية علم المخطوط العربي، وإن على مستويات المراجعات العلمية النقدية لهذه الأدبيات الاصطلاحية.

إن مراجعة المنجز في هذين المسارين تكشف عن فقر المكتبة العربية، فلا يوجد من الأدبيات المرجعية/ المعجمية الخادمة لمصطلحية علم المخطوطات سوى ما يلي:

أ. الترجمة العربية لكتاب آدم جاسك: تقاليد المخطوط العربي [٢].

ب. معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، للدكتور أحمد شوقي بنبين [٣].

ج. نحو معجم تاريخي لمصطلح ونصوص صناعة المخطوط العربي، لإبراهيم شبوح [٤].

ولا يوجد من أدبيات المراجعات العلمية النقدية في المكتبة العربية سوى ما يلي:

أ. معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي، وقيمتها الحضارية، للدكتور خالد فهمي[٥].

ب. قراءة في معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديولوجي، للدكتور أحمد شوقي بنبين، للدكتور عبد الكريم العوفي [٦].

وتعالج هذه المقالة أمرها في المطالب التالية:

١. المرجع في علم المخطوط العربي: مادته/ وانتماؤه المعرفي/ وقيمته.

٢. المرجع في علم المخطوط العربي: بناؤه ومنهجه.

ا. البنية الكبرى.

٢. البنية الصغرى.

٣. المرجع في علم المخطوط العربي: المصادر والتوثيق.

٤. المرجع في علم المخطوط العربي: مقالة في خطاب الوظائف.

٥. المرجع في علم المخطوط العربي: ملاحظات نقدية واستدراكات.

وفيما يلي معالجة لهذه المطالب على الوِلاء والترتيب.

١/ المرجع في علم المخطوط العربي: مادته/ وانتماؤه المعرفي/ وقيمته:

(١.١) مادة الكتاب:

جاء هذا الكتاب في (٥٠٢ ص) في النسخة المترجمة إلى العربية، وتكسَّرت على:

أ. مقدمة المؤلف، مسبوقة بقائمة للرموز والأشكال، ومقدمة للمراجع، وتصدير لمدير عام المنظمة.

ب. متن الكتاب، مقسمًا على حروف المعجم العربي بترتيبها المشرقي (أ، ب، ت، ث؛ إلخ)، في ثمانية وعشرين حرفًا.

ج. ملاحق الكتاب، وهي أربعة ملاحق: (الاختصارات العامة/ أشكال الحروف العربية الرئيسة من خلال النصوص المملوكية والعثمانية عن فن الخط/ الدليل الببليوجرافي/ وصف المخطوط).

د. الرسومات البيانية (التقويم الإسلامي/ المسيحي / الحقب الإسلامية الرئيسة/ الأسر الحاكمة الإسلامية الرئيسة).

هـ. قاموس مصطلحات إنجليزي عربي (صنعه المترجم).

و. المصادر والمراجع: (العربية/ الأجنبية).

وسوف يرد في المقالة الثانية هنا تحليل لهذه المادة من منظور التصنيف في البحث المعجمي والموسوعي.

والملاحظ أن هناك بعض الاختلافات بين نسختي الأصل والترجمة، فقد تركزت هذه الاختلافات في الأبعاد التالية:

أولًا: التصرف: لقد أسقط المترجم ملحق الآيات القرآنية، وقال (ص/ ٤٣٩): "صنع المؤلف خمسة ملاحق، منها: ملحق خاص بالسور القرآنية مرتبة ألفبائيًّا ... وقد رأينا الاستغناء عنه لعدم فائدته".

وهذا التصرف مستغرب من جهتين، هما:

أ. طبيعة المجال المعرفي لنص الكتاب (المخطوط العرب/ والتراث)، وهو مجال لا يحتفي بالكشافات والملاحق.

ب. طبيعة الملحق الذي أسقطه المترجم من نسخة الترجمة؛ ذلك أن الاعتماد على الكتاب العزيز مسألة مركزية في هذا العلم. ولعلي أذكر المترجم الكريم بأن آدم جاسك يقرر أن الحضارة الإسلامية هي: "حضارة الكتب"، يقول في [تقاليد المخطوط العربي: الببليوجرافية (ص/ ١٥)]: "الحضارة العربية الإسلامية حضارة كتاب. الكتاب فيها ذو قداسة خاصة، اكتسبها من الدين الإسلامي ذاته، وتحديدًا من كتاب هذا الدين (القرآن الكريم)، الذي لا ينافسه كتاب آخر لدى العرب المسلمين"!

ثانيًا: الإهمال: لقد أهمل المترجم ترجمة بعض العناصر من واجهة الكتاب، وهذه العناصر تبعًا للنسخة الإنجليزية المعتمدة الترجمة هي:

١. صفحة الشكر والامتنان = (قبل المقدمة).Acknowledgement، وهو تقليد علمي في التأليف شائع في الغرب؛ انطلاقًا من أخلاق البحث العلمي.

وكان بالإمكان إلحاقه بآخر المقدمة، إن لم ير المترجم فائدة من إفراده، واستقلاله.

٢. قائمة الكتابة الصوتية = (بعد المقدمة) transliteration table.

٣. ملاحظات أو تعليق على التمثيل الصوتي = (بعد المقدمة) Note on transcriptions.

٤. الرسوم والخطوط (الموضحات) = (بعد المقدمة) illustrations and credits.

إن هذه العناصر التي أهملت في الترجمة العربية مهمة جدًّا لمستعملي هذا المرجع، وهي ذات وظائف تمكن القارئ من الإحاطة بمجموعة أشياء، كما أنها مهمة في تحليل أنساق التأليف الغربي المعاصر، الذي يحتفي بالقارئ، ويحتفي بمنظور المستعمل الذي يحقق تيسيرات كثيرة.

(٢.١) الانتماء المعرفي للكتاب:

ينتمي هذا الكتاب – شأن كثير من الكتب الغنية عند فحص انتمائها المعرفي – إلى مجموعة من الانتماءات المعرفية، يمكن رصدها كما يلي:

أ. النوع التصنيفي:

جاءت الترجمة وقد حملت عنوان: (المرجع) والمرجع مصطلح علوي عام، يطلق على أوعية المعلومات، أو هو جنس يندرج تحته أنواع متعددة.

وهذا الكتاب يكشف – عند فحصه – عن انتمائه التصنيفي إلى قطاع "المعاجم الموسوعية"؛ فهو معجم موسوعي، بدليل النظر إلى:

أ. بنائه وترتيبه، كما سيتضح في المقالة الثانية هنا.

ب. الغرض والوظيفة؛ إذ هو يستهدف إضاءة المداخل والتعليق عليها من منظور يستهدف التعليم والثقافة.

ج. استعمال الموضحات البصرية؛ من الرسوم والخطوط في التعليق على المداخل.

د. طول مادة التعليق على المداخل.

كما يكشف تحليل خطاب المقدمة عن انتمائه إلى نوع "الأدلة"، فهو "دليل للقارئ"، وهذا المصطلح هو المكافئ الأولى استعمالًا في الترجمة العربية لمصطلح (Avadeumecum for readers) الذي جاء عنوانًا جانبيًّا في الأصل الإنجليزي.

ب. الانتماءات المعرفية:

يصلح هذا المعجم أن ينتمي إلى الحقول المعرفية التالية:

أولًا: علم المخطوط العربي: وهو الانتماء المعرفي الأساسي؛ بدليل عنوان الكتاب = (Arabic Manuscripts)، وبدليل خطاب المقدمة والمحتوى جميعًا.

ثانيًا: علم الخطوط القديمة: وهو الانتماء الموازي لعلم المخطوط العربي، كما قرر آدم جاسك نفسه في المقدمة، حيث قال (ص/ ١٩): إنه دليل يتضمن ظواهر من علم المخطوطات العربية وعلم خطوطها القديمة.

وهو صالح لأن ينتمي كذلك إلى مجموعة انتماءات أخرى فرعية تالية، من مثل:

أ. التاريخ الحضاري والثقافي العربي الإسلامي.

ب. الفنون التراثية العربية الإسلامية.

ج. أنظمة التأليف العربية التراثية.

(٣.١) قسمة الكتاب:

يستمد هذا المعجم الموسوعي أهميته وقيمته من عدة أمور، هي:

أولًا: قلة أدبيات المجال المعرفي الذي ينتمي إليه؛ فالمكتبة العربية تعاني فقرًا حقيقيًّا في باب الأعمال المعجمية والمرجعية المختصة بمصطلحية علم المخطوط العربي.

ثانيًا: طبيعة المؤلف (آدم جاسك)، المختص في هذا المجال، الذي أسهم في خدمته بأعمال ممتازة، عرف بعضها طريقه إلى اللسان العربي، على ما نجده في:

أ. بحثه عن: الكيبيكج، الذي ترجمه المرحوم الأستاذ عصام الشنطي [٧].

ب. تقاليد المخطوط العربي: معجم مصطلحات وببليوجرافية، الذي نقله إلى العربية مراد تدغوت، ومحمود محمد زكي.

ثالثًا: النسق التأليفي للمعجم الموسوعي هذا، وسهولة التعامل معه؛ إذ هو مرتب وفق النظام الألفبائي، وما يحتوي عليه من رسومات وخطوط أو موضحات بصرية تعين على تحصيل مادته.

رابعًا: تمتعه بالتدقيق والإحالة إلى المصادر المعتمدة في الحقل المعرفي، وهذه الاستشهادات المرجعية تحقق عددًا من الوظائف المهمة معرفيًّا.

خامسًا: صدوره عن معهد علمي عريق في العناية بشئون المخطوطات العربية دراسة وفهرسة وترتيبًا؛ إلخ.

إن هذه الأبعاد تجعل الحفاية بترجمة هذا الكتاب – من باب تقدير قيمته – أمرًا واجبًا، تسهم به في توطين العلم بمسائل هذا الحقل في الثقافة العربية؛ مما يسهم – تبعًا – في تعميق دراستها، وتطويرها.

٢/ المرجع في علم المخطوط العربي: بناؤه ومنهجه:

بنى آدم جاسك هذا المعجم الموسوعي/ أو هذا الدليل على المشهور في برامج التصنيف المعجمي؛ بما هو فرع أصيل من فروع البحث المعجمي والموسوعي.

وقد جاء هذا المعجم الموسوعي وقد انتظمته بنيات كبرى، وصغرى، شكلتا بناءه ومنهجه.

وقد جاءت البنية الكبرى في هذا المعجم الموسوعي في ثلاثة أقسام متكاملة، هي:

(١.٢) واجهة المعجم.

(٢.٢) متن المعجم.

(٣.٢) ملاحق المعجم.

وفيما يلي تحليل لمكونات كل قسم من هذه الأقسام.

(١.٢) واجهة المعجم:

تمثل الواجهة front matter أول ما يواجه عين المستعمل، وهذه الواجهة أو المقدمة هي التي تنهض بالوفاء بالعناصر التالية:

أ. بيان مكونات المعجم ومحتوياته.

ب. إرشادات الاستعمال.

ج. الغرض من تأليف المعجم، وبيان وظائفه.

د. بيان الرموز والاختصارات.

هـ. منهج ترتيب المداخل.

وهذه العناصر متفاوتة في الأدبيات التنظيرية، على ما نجده في:

كتاب هارتمان وجريجوري جيمس (ص/ ٦٠)

dictionary of lexicography,London,1983، وكتاب د. أحمد مختار عمر [صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ١٩٨٨م (ص١٠٥)].

وقد تضمنت واجهة هذا المعجم العناصر التالية:

أ. بيان طبيعة الانتماء المعرفي للمعجم (في مصطلحية علم المخطوط العربي).

ب. قائمة بالرموز والاختصارات.

ج. الغرض من المعجم/ الدليل (ص/ ١٩): "ولكنني وضعته ليكون وسيلة لمساعدة الطلاب والباحثين".

د. بيان منهج ترتيب المداخل (ص/ ٢٠): "ومن أجل إراحة القارئ وتيسير الوصول إلى المادة العلمية بسرعة، فإنني قررت أن أرتب مادة الكتاب من المصطلحات والمفاهيم ألفبائيًّا".

هـ. بيان مميزات المعجم وخصائصه، من مثل اشتماله على نماذج من اللوحات والأشكال التوضيحية؛ إلخ (ص/ ٢٠).

وبيان ببعض مصادر هذا المعجم (ص/ ٢٠) يقول: "تتأسس المصطلحات العربية التقنية الواردة هنا على كتابي المذكور آنفًا: "تقاليد المخطوط العربي" ... وملحقه ... فكلاهما مجتمعان مع هذا الكتاب الحالي".

وقد أخلت الترجمة العربية بترجمة بعض مكونات واجهة هذا المعجم، كما سبق أن قررتُ!

(٢.٢) متن المعجم:

متن المعجم أو جسمه هو الجزء الأساسي الذي ينصرف معنى المعجم إليه عند الإطلاق، وهو الجزء الذي يتكون من مكونين مركزيين، هما:

أ- مداخل المعجم (مصطلحاته).

ب- التعليقات على المداخل (الشروح والتعريفات).

(٢.٢.أ) مداخل المعجم وترتيبها:

وقد جاء المعجم بعد ترجمته في (٢٨) فصلًا على عدد حروف المعجم العربية، بدءًا بالألف، وانتهاء بالياء، على ترتيب المشارقة. ويبدو عدم احترام هذا الترتيب للمداخل الفرعية المنضوية تحت مدخل علوي (ص٢٦٤).

وقد رتبت المداخل/ المصطلحات ترتيبًا ألفبائيًّا مشرقيًّا جذعيًّا؛ أي وفق منطوق المصطلح في الاستعمال العلمي في حقل علم المخطوط العربي، من دون اللجوء إلى تطبيقات التجريد والرد إلى الجذور، مع احترام "ال" في بنية المداخل الداخلية، وعدم احترامها في البداية، مع اضطراب، وهو ترتيب روعي فيه أمران:

أولًا: منهج تصنيف صاحبه الأساسي.

ثانيًا: طبيعة بعض المصطلحات التي دخلت إلى هذه المصطلحية من طريق الاقتراض من اللغات الأجنبية.

هذا فضلًا عن إرادة تحقيق التيسير على المستعملين، وهو أثر من آثار ما يعرف بتطبيقات منظور المستعمل، الذي يحرص على توفير الوقت، وتوفير الجهد معًا.

وقد بلغت كثافة مداخل هذا المعجم (٣٥٠) مصطلحًا، كما جاء في مقدمة المراجع (ص/ ١٠) الذي يقول: "بلغ عدد المصطلحات والمداخل خمسين وثلاثمئة مصطلح، وهو كم كبير، يدل على التتبع والاستقصاء للغة علم المخطوط العربي".

(٢.٢.ب) التعليق على المداخل وشروح المصطلحات:

يمثل التعليق على المداخل وشروح المصطلحات الجزء المتمم لتصور متن المعجم، وهو الجزء الذي ينهض بتقديم المعلومات التي تشكل ماهيات المصطلحات، أو التصورات عنها.

وجاء ترتيب معلومات ما تحت المداخل في الغالب وفقًا لما يلي:

أ. الإحالة إلى المصطلحات المتداخلة مع المدخل موضع التعليق عليه.

ب. بناء التعليق في صورة مقالة موجزة كثيفة، تتضمن ما يلي:

- معلومات عن تاريخ المدخل، وتطور ظهور مفهومه.
- تعريف المدخل، ببيان سماته الدلالية الشارحة والمميزة له.

- بيان مكونات المدخل إن كان من المواد التي تتكون من عناصر، ومكونات.
- بيان الوضع الراهن للمدخل موضع التعريف.
- إلحاق رسومات أو صور موضحة للتعريف القولي.
- توثيق معلومات ما تحت كل مدخل في داخل المتن في النسخة الإنجليزية، ونقول المترجم في الهوامش السفلية front notes في الترجمة العربية!

ملاحظ:

وقف حديث آدم جاسك عن منهج ترتيب المداخل عند حدود أنها مرتبة وفق النظام الألفبائي، وكذلك وقف حديث المراجع للترجمة العربية عند حدود قوله: (ص/ ١١/ أ): "إعادة ترتيب المادة بحسب الألفبائية العربية"، وهو الترتيب الجذعي الذي راعى منطوق المصطلحات في الاستعمال، من دون اللجوء إلى تقنيات الرد على الجذور أو التجريد.

وهو ما يفهم منه احترام توالي حروف المعجم العربية، من دون النظر إلى صنف المصطلح من منظور الأنماط الشكلية، بمعنى أن غض النظر عن نمط المصطلح شكليًّا، جاء على صورة اختزالية اختصارية أو كلمة بسيطة أو مركب معقد.

وإن كان الأمر كذلك فقد لوحظ نوع ترتيب يخالف هذا المنهج، من مثل:

ورود (ربع تجليد، ص ٢٣٩/ قبل الربعات والصناديق، ص ٢٣٩)، وتطبيقات النظام الألفبائي تقضي بورود: الربعات والصناديق قبل: ربع تجليد!

وورود المدخل (الصفحتان المتقابلتان المزخرفتان، ص ٢٧٤/ قبل المدخل: الصفحتان المتقابلتان، ص/ ٢٧٤) والصواب العكس!

كما لوحظ اضطراب في التعامل مع "ال" التي للتعريف في ترتيب المداخل؛ إذ كان الواضح عدم اعتبارها إن وقعت في أول المدخل، وهو ما يفسر وقوع المداخل التالية في فصل الدال المهملة: الدس/ الدلالات/ والدفعة/ والدواة (ص٢٣٥).

ولكن إن وقعت في درج المصطلح، فإن التعامل معها جاء مضطربًا، آخذًا الشكلين التاليين:

أ. عدم الاعتبار؛ أي إسقاطها من اعتبارات الترتيب، وهو ما يفسر لنا ورود المداخل التالية على الولاء والتتابع (ص/ ٢٩٦):

– علم تاريخ الكتب/ علم التعمية/ علم حفريات الكتاب؛ إذ لو اعتبرت "ال" في الترتيب لتقدم المدخل (علم التعمية) على المدخل (علم تاريخ الكتب)، فلما لم تُعْتَبر (ال) في الترتيب تأخر مدخل: علم التعمية عن مدخل: علم تاريخ.

ب– الاعتبار؛ أي حسبانها عند الترتيب، وهو ما يفسر لنا ترتيب المداخل التالية (٢٨٧):

– علامات السقط/ وعلامات الضبط/ وعلامات حروف العطف؛ إذ لو لم تعتبر في الترتيب، لتغير الترتيب عند قصد إسقاطها من الاعتبار كما يلي:

– علامات حروف العطف/ وعلامات السقط/ وعلامات الضبط!

أما البنية الصغرى، فيقصد بها معلومات التعليق على المداخل، وهي تبعًا لما ذكره هارتمان وجريجوري جيمس في معجمهما عن مصطلحات صناعة المعجم Dictionary of lexicography (ص ٩٤).

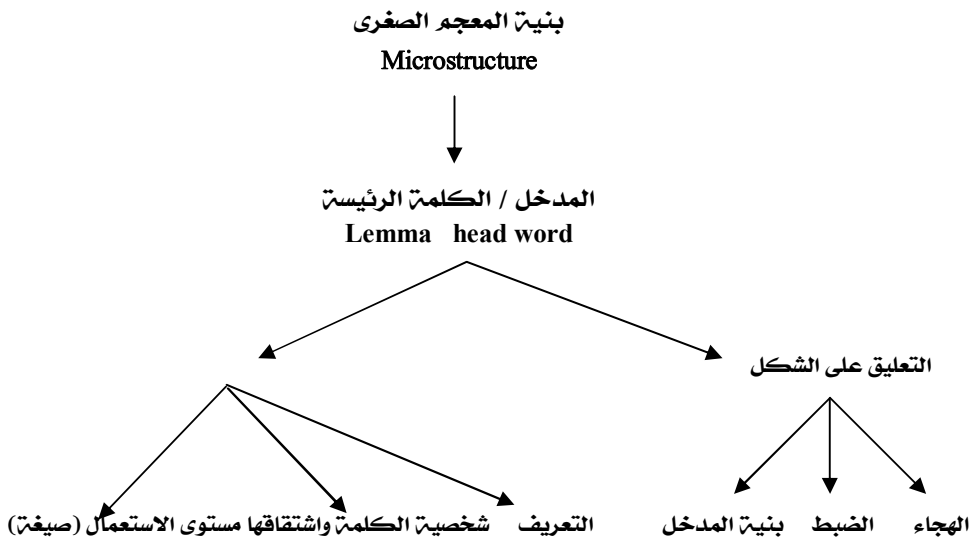

وقد تفاوتت العناية بمجموع هذه المعلومات من تعليق لآخر.

أما معلومات التعليق على الشكل، فقد اطردت العناية بالمعلومات التالية:

أولًا: الهجاء، أو هجاء المداخل، وهو ما نهض به تطبيق تقنية التمثيل الصوتي transcription أمام كل عدد من المداخل، وهي تقنية تعين على النطق الصحيح للمداخل، كما في (خط الحواشي وخط الديواني، ص ٢٠٤) على سبيل المثال، وهذه الطريقة نهضت بمعلومات الهجاء والضبط معًا.

ثانيًا: ونظرًا للطبيعة الموسوعية لهذا المعجم/ الدليل من جانب، ولسبق العناية بمعلومات البنية (الصرفية) في تقاليد المخطوط العربي: معجم المصطلحات، فلم يُعن بها في هذا العمل المرجعي، على اعتبار أن العملية: التقاليد/ والمراجع ، بمثابة عمل واحد موسع فيما يبدو!

أما معلومات التعليق على المعنى فقد جاءت مكتنزة وافية إلى حد كبير، تضمنت ما يلي:

أولًا: تعريف المداخل.

وقد استعمل آدم جاسك في الغالب نوعين من التعريفات والشروح، وهما:

أ- طريقة الشرح بالمحكم، وهي طريقة تنهض بشرح المداخل، بجمع سماتها الدلالية الفارقة والمميزة لمدخل عن الآخر.

ب- طريقة الشرح بالموضحات البصرية؛ من رسوم وخطوط وصور.

ثانيًا: معلومات التأثيل etymology:

لقد انشغل المعجم/ الدليل - في بعض الأحيان - ببيان معلومات التأثيل لعدد من المداخل، تكشف عن تطور دلالات استعمالها، على ما نرى مثلًا في تأثيل المدخل (حرد المتن = colophon)، حيث كشف أنها تطورت من معنى: المقاتلين البواسل الذي لايتوقفون في المعارك عن القتال حتى تضع الحرب أوزارها (ص/ ١٦٤)، "ثم أجريت عليها تعديلات أخيرة، وصارت تستخدم في وصف الكلمات التي تكون في نهاية الكتب"!

[وانظر كذلك: كبيكج، ص ٣٠١].

ثالثًا: معلومات مستوى الاستعمال usage able:

كان مع تداخل عدد من الانتماءات المعرفية التي تحيط بمصطلحية علم المخطوط العربي، وتنوع فروعه كذلك، من مثل: علم الخطوط القديمة، وعلم الختوم، وعلم الزخرفة – أن يحرص المعجم/ الدليل في كثير من الأحيان على النص في التعليق على المداخل على معلومات مستوى الاستعمال، التي تعين على تحصيل دلالات المدخل موضع التعليق، بكلمة مفتاحية كاشفة عن الانتماء المعرفي الدقيق للمدخل في أثناء تعريفه وشرحه، أو من خلال الإحالات المجاورة للمدخل، فمثلًا تعين الانتماء المعرفي للمدخل (اللسان = flap) إلى الانتماء المعرفي الفرعي المتعلق بتسفير الكتب، من خلال مؤشرين هما: (ص ٣٦٦):

١. مؤشر الإحالات المجاورة؛ حيث أحال آدم جاسك في بداية التعليق على مدخلي: تجليد الكتب/ وأغلفة الكتب.

٢. مؤشر قيود التعريف والشرح؛ حيث استعمل القيود التالية في التعريف: (الغلاف/ والتجليد/ وخزم/ وسير جلدي)!

وقد اطردت معلومات هذا النوع من التعليق (أقصد التعليق على المعنى) بصورة واضحة؛ لأنها المسئولة عن النهوض بتعريف المداخل، وتعيين ماهياتها، وبناء التصورات عنها.

وهو ما كان مغايرًا لمعالجة معلومات التعليق على الشكل التي جاءت غير مطردة، ولا مستوعبة لمداخل المعجم/ الدليل جميعًا.

(٣.٢) ملاحق المعجم:

ضم هذا المعجم – في أصله الإنجليزي – خمسة ملاحق، تقلصت إلى أربعة في النسخة المترجمة إلى العربية، هي:

أ. الملحق الأول: اختصارات عامة غير مصنفة في المخطوطات العربية.

ب. الملحق الثاني: أشكال الحروف العربية الرئيسية، من خلال النصوص المملوكية والعثمانية عن فن الخط.

ج. الملحق الثالث: الدليل الببليوجرافي.

د. الملحق الرابع: وصف المخطوط.

وقد أسقط المترجم - كما تقدم ذكره - الملحق الخامس الخاص بآيات الذكر الحكيم، وزاد ملحقًا أو كشافًا لمصطلحات المعجم (إنجليزي/ عربي).

وأهمية هذه الملاحق واضحة؛ إذ تعمق مادة المعجم، وتوضح كثيرًا من المسائل المتعالقة معها.

(٣) المرجع في علم المخطوط العربي: المصادر والتوثيق:

كان مما أثبته مراجع الترجمة العربية وعدّه من مميزات المعجم/ الدليل - وهو كذلك - التزام التوثيق، يقول (ص ١٠): "اتسمت المادة العلمية بالتوثيق والإحالة على المصادر والمراجع".

وهي سمة ترقى بقيمة المعجم/ الدليل ولا شك. وقد جاء منهج التوثيق في النسخة الإنجليزية في داخل المتن في سياق التعليق على المداخل، وفصَّلها المترجم في الهوامش السفلية بعد نهاية التعليق على كل مدخل، بالمكونات التالية:

أ. اسم المؤلف.

ب. سنة طبع المصدر/ المرجع.

ج. المؤشر المكافئ لموضع الاستشهادات المرجعية (أرقام الصفحات).

وفي أحيان أخرى أقل كثافة ترد الاستشهادات المرجعية وفقًا لما يلي:

أ. عنوان المصدر/ المرجع.

ب. الطبعة.

ج. المؤشر المكاني (أرقام الصفحات).

وقد تنوعت مصادر هذا العمل المرجعي، وتوزعت على المجموعات التالية:

أولًا: معاجم مصطلحات علم المخطوط العربي السابقة عليه؛ ككتاب: تقاليد المخطوط العربي، ومعجم مصطلحات المخطوط العربي، لأحمد شوقي بنبين، وكتاب موزيرل: مصطلحات علم المخطوط Vocabularie codicologique.

ثانيًا: كتب علوم المخطوط العربي التراثية والحديثة المختلفة؛ من تجليد، وورّاقة، وصناعة الكتابة، والأقلام والأحبار.

ثالثًا: كتب أخرى متنوعة من مكملات التأليف؛ من كتب التاريخ، والفهارس، واللغة.

وقد نهضت هذه المصادر والمراجع بعدد من الوظائف التالية:

أ. الوظيفة البنائية التأسيسية؛ أي بناء المعجم/ الدليل، وتكوين مادته، من المداخل والشروح والتعليقات عليها.

ب. الوظيفة الاستدراكية؛ أي تكملة ما جاء ناقصًا غير تام فيما سبقه من أعمال مرجعية.

ج. الوظيفة التصحيحية؛ أي تصويب ما كان مستقرًّا ينظر إليه على أنه من حقائق الحقل المعرفي، ثم اتضح مع وجود الاكتشافات والنماذج عدم صحتها؛ مما استدعى تصحيحها.

د. الوظيفة التدعيمية، التوضيحية، وهو ما قامت به المصادر والمراجع التي من نوع المجموعات الفنية (الكتالوجات)، ومصادر الرسوم والخطوط والصور؛ حيث دعمت الشروح اللغوية أو القولية ووضَّحتْها.

٤. المرجع في علم المخطوط العربي : مقالة في خطاب الوظائف:

بيَّن آدم جاسك في فقرة من مقدمته لهذا المعجم/ الدليل بعض الغايات التي قصد إلى تحقيقها، عندما قال (ص ١٩): "وبعد هذا كله، من الواضح أن هذا الكتاب (المرجع في علم المخطوط العربي) يمكن عده - في أحسن الأحوال - ملخصًا عامًّا لمختلف العناصر والظواهر التي تعنى بها دراسات المخطوط العربي. إن التصور الذي وضع عند تجميع مادة هذا الكتاب، لم يكن يهدف إلى أن يكون دليلًا شاملًا لظواهر علم المخطوطات العربية (codicological)، وعلم خطوطها القديمة (palaeographical)، ولكنني وضعته ليكون وسيلة لمساعدة الطلاب والباحثين الذين غالبًا ما تنتابهم الحيرة أو الرهبة - في بعض الأحيان - من هذا العالم الغامض من المخطوطات واللغة التقنية المستخدمة فيه".

وتحليل مادة هذا المعجم/ الدليل تكشف عن توخيه تحقيق مجموعة من الوظائف، يمكن رصد أظهرها فيما يلي:

أولًا: الوظيفة المعرفية:

إن هذا المعجم/ الدليل - بنص صانعه - يستهدف خدمة المعرفة في حقل علم المخطوط العربي، بتحرير مفاهيمه، وبيان معلوماته، وتطورها، وهو بهذا يسهم في تعميق العلم بحقائق هذا الحقل المعرفي، ومسائله، وتطويرها، وتفسير كثير من النصوص التي وردت إلينا في الأدبيات التراثية المتداخلة مع علوم المخطوط العربي، ولاسيما مع وجود الرسومات والموضحات البصرية التي تسهم في توضيح كثير من الحقائق التي كانت غامضة أو ملتبسة.

ثانيًا: الوظيفة التأريخية:

إن عناية هذا المعجم/ الدليل بالتأريخ لكثير من المفاهيم والتصورات وتطورها في الحياة العلمية العربية الإسلامية تحقق الوظيفة التأريخية، التي تكشف عن المراحل التي مرت بها كثير من التقنيات في حقل هذا العلم، وما تعرضت له كثير من هذه التقنيات من تطورات، وتعديلات.

وهو من هذا الجانب يعد معجمًا موسوعيًّا ذا صبغة تاريخية؛ بسبب عنايته بتتبع تاريخ كثير من المفاهيم وتطوراتها على امتداد التاريخ منذ ظهور المفهوم حتى استقراره بعد مراحل تاريخية عديدة.

ثالثًا: الوظيفة الحضارية:

يقدم هذا المعجم/ الدليل - من خلال عنايته المتجاوزة - عددًا من المعلومات التي تسهم في خدمة الوظيفة الحضارية، التي طالت المستويات والمجالات التالية:

أ. مجال الأدوات الكتابية (الأقلام/ والمحابر/ والأوعية المادية وغيرها).

ب. مجال الفنون والزخرفة والتزيين والرسوم وأدواتها وألوانها وموادها المستعملة فيها، وأشكالها وأنظمتها المختلفة.

ج. مجال الخطوط المختلفة.

د. مجال أدوات التسفير والتجليد، وطرقه المختلفة.

إن هذا المعجم/ الدليل يكشف عن تعانق ثلاثة ملامح ظاهرة في صناعة المخطوط العربي؛ بما هو مَجْلَى للتطور الحضاري الذي حققه العربي المسلم على امتداد التاريخ، وهي الملامح التالية:

أ. القوة والصلابة والمتانة التي تمتع بها المخطوط في الغالب.

ب. المنفعة، والفائدة التي قصدها الصانع القديم لمستعمل المخطوط.

ج. الجمال الذي أحاط بصناعة المخطوط العربي من طريق التزيين والزخرفة والرسوم؛ إلخ.

وهذه الملامح الثلاثة ناتج طبيعي للتصور الإسلامي للحياة الذي يحرص عليها جميعًا.

رابعًا: الوظيفة اللسانية:

يعد هذا المعجم/ الدليل - بما ضمه من مصطلحات - نموذجًا جيدًا يعكس مرونة اللسان العربي، واستجابته لمتطلبات العلوم في الحقول المختلفة، سواء على مستوى الترميز الداخلي الذي يستجيب للتوليد بالطرق المختلفة، أو على مستوى الترميز الخارجي بالاقتراض من اللغات الأجنبية، ثم تعريب ما يقترضه اللسان العربي.

وهو ما تجلى في ظهور مصدرين لسانيين، أسهما في تكوين مصطلحية علم المخطوط العربي، هما:

أ. المصدر اللساني العربي (المصادر الأثيلة).

ب. المصدر اللساني الأعجمي (المصادر الدخيلة).

كما تجلى أمر هذه المرونة والاستجابة في تنوع أنماط المصطلح الكوديكولوجي من المنظور الشكلي على الأنماط التالية:

أ. النمط الاختزالي (المختصرات) مثل: م = متن.

ب. النمط البسيط (المصطلح/ الكلمة الواحدة)، مثل: الجمع، الورقة؛ إلخ.

ج. النمط المركب/ المعقد، بأشكاله المختلفة، سواء كان من نمط المركبات الإضافية/ أو الوصفية أو العطفية، أو المركبات الإسنادية؛ مثل: رواية الكتاب، والألفبائية العربية، والاختصارات ورموزها، والوقف: بباباته وحججه؛ إلخ.

خامسًا: الوظيفة التعليمية:

وهذه الوظيفة تأتي من طبيعة هذا العمل المرجعي؛ بما هو وسيلة مساعدة للطلاب على تحصيل حقائق العلم، ومسائله، وتصوراته، وهي الوظيفة التي صرح آدم جاسك باستهدافها في مقدمته (ص ١٩)، كما مر بنا.

سادسًا: الوظيفة القومية:

ويقصد بها ما يسهم به هذا المعجم/ الدليل في توطين العلم بحقائق هذا العلم ومسائله في الثقافة الوطنية أو القومية، ودعم تمكين اللسان العربي في المجالات العلمية المختصة.

(٥) المرجع في علم المخطوط العربي: ملاحظات نقدية واستدراكات:

إن فحص هذا المعجم الموسوعي/ دليل القارئ، يكشف عن مجموعة من الملاحظ النقدية والاستدراكات التي تستهدف تقويمه، وتعميق مادته معًا:

(١.٥) وفيما يلي رصد لما كشف عنه تحليل مادته، وفحصها من ملاحظ:

أولًا: تردد المترجم الكريم في ترجمة النوع التصنيفي للكتاب، فعلى حين جاء على الغلاف: المرجع في علم المخطوط العربي، تردد في المقدمة غير مرة فاستعمل مصطلح (الدليل) (ص ١٩/ س١٧؛٢١).

والأولى ترجمة العنوان بالدليل، فهو: Avademecum for readers

ثانيًا: قررت الترجمة التزام وضع الوصف بالكريم بعد كل ورود للفظ القرآن، وضع الصلاة على النبي ﷺ بعد كل ذكر له؛ وهو ما لم يطرد، يقول المُراجِع (ص ١٢): "وإلى ذلك جرت إضافة صفة "الكريم" للقرآن، و(الصلاة) عند ذكر النبي ﷺ".

وهو ما لم يكن مثلًا في (ص ٢٤): "علم رسم كتابة ***القرآن*** في المصاحف"، و"علم رموز ***أقوال النبي*** وإشاراته"!

ثالثًا: ترجم المترجم الكريم نص آدم جاسك (ص/xi):

and recourse to such sister disciplines as epigraphy inscription on hard surface, diplomatic(the study of documents including epistolography and papyrology)"

بما يكافئه فقال: (ص ١٨): "والاستعانة بتخصصات مكملة، مثل تخصص النقوش (النقوش على الأسطح الصلبة) والمراسلات الدبلوماسية (دراسة) الوثائق، بما في ذلك: فن كتابة الرسائل، وعلم البرديات)". ولعل مقصود آدم جاسك بتعبير diplomatic هو "الوثائق"، وليس المراسلات الدبلوماسية!

وهذه مجرد أمثلة لما يحتاج إلى مراجعة، وتعليق.

(٢.٥) الاستدراكات:

إن كثافة المداخل – التي بلغت (٣٥٠) مدخلٍ – تكشف عن الغنى الحقيقي الذي تمتع به هذا المعجم/ الدليل، مع تقدير العمر الزمني القصير لنشأة علم المخطوط العربي في العصر الحديث.

وقد كان هذا المعجم/ الدليل في حاجة إلى صناعة ملحق يستدرك ما فاته من المصطلحات التي تقع في الصميم من حقل الكوديكولوجي، ومما أخل به هذا المعجم – وكان يلزم أن ينهض به – ملحق للمستدركات، كما يلي:

أ. خلو المعجم من بعض المداخل الموسوعية المتعلقة بعناوين بعض الكتب المهمة، من مثل: أدب الكتاب، وكتاب الكتاب، وصناعة الكتاب، وصبح الأعشى؛ إلخ. ولاسيما والمعجم ذو سمة موسوعية، اعتنى بعدد من المداخل من نمط الأسماء الأعلام، كابن مقلة (ص ٣٩٣)!

ب. أما بعد = (فصل الخطاب)، وهي العبارة التي يختم بها استهلال النصوص التراثية، وينتقل بعدها الكاتب إلى معالجة موضوع كتابه.

ج. البري (بري القلم)، وهو إعداد القلم، وتجهيزه للكتابة، عن طريق ضبط سِنِّه بِسِكِّين معروفة.

د. سجية الرسم (طبيعة الكاتب في كتابته، وهي طريقة الكاتب المألوفة في كتابته، وهي تفيد في فحص الكتب المزورة، وبيان أصالتها في النسبة، ويمكن أن تضاف وسيلة لبيان توثيق نسبة المخطوطات إلى أصحابها، إن ورد دليل يقرر أنهم كتبوها بخطوطهم.

هـ. فصل الخطاب (= انظر: أما بعد).

و. فقر منتخبة: نصوص مقتبسة من نص آخر.

ز. المنظومة: نوع من التصنيف، يدون المعارف في صورة نظمية، يغلب أن تكون على وزن الرجز.

ح. النسخة المجددة: وهي النسخة الناقصة التي يكتبها ناسخ، ويكملها ناسخ غيره.

ط. النسخة المورثة.

ي. النسخة اليتيمة.

وثمة مداخل أخرى يمكن إلحاقها بهذا المستدرك، من مثل:

تطيين الكتاب (عند ختمه)/ والتعليقة.

خاتمة:

وبعدُ، فهذه مراجعة علمية نقدية استهدفت الحفاية بترجمة هذا العمل المرجعي المهم إلى العربية.

واستهدفت كذلك تحية المترجم والمراجع والمعهد العلمي العريق الذي أصدره.

وقد كشفت هذه المراجعة عن عدد من النتائج، من مثل:

أولًا: استجابة اللسان العربي لحمل مفاهيم هذا الحقل، بتنمية لغته التقنية.

ثانيًا: وعي آدم جاسك العميق بحقائق هذا الحقل المعرفي، وإرادته تطوير مساراته، وخدمة البحث فيه.

ثالثًا: تمتع هذا العمل بعدد موفور من شروط صناعة المعجم الحديث؛ من تضمنه واجهة، وملاحق.

رابعًا: ظهرت تنوع الوظائف التي يمكن استثمار المعجم/ الدليل؛ من أجل تحقيقها، وتوطين العلم بهذا الحقل في الثقافة العربية المعاصرة.

خالص التحية للمعهد العلمي العريق الذي نهض بعبء هذا الإصدار المهم، الذي سيسهم في خدمة هذا الحقل المعرفي الخطير.

الهوامش والمراجع:

١. المراجعات العلمية ودورها في تحول المعلومات إلى معرفة، ضمن دراسات عربية في المكتبات والمعلومات العدد (٢) مايو سنة ١٩٩٨م، مج٣ (١/١١).

٢. تقاليد المخطوط العربي: (معجم المصطلحات)، ترجمة: مراد تدغوت، ومراجعة الدكتور فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ٢٠١٠م (٣٧١ ص).

٣. طبعة الخزانة الحسنية، الرباط، المغرب، (ط٣)، سنة ٢٠٠٥م.

٤. نشر ضمن أعمال مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي الثالث، لندن، ١٤١٨هـ = ١٩٩٩م، بعنوان: (صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية).

٥. نشرت أولًا في مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ع(٥٣٢)، ثم أعيد نشرها في كتاب (آفاق جديدة في المعجمية العربية الإسلامية، للدكتور خالد فهمي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م، (ص ص ١١٠-١٢٠).

٦. نشرت في مجلة (جذور) ع٤٢، النادي الأدبي الثقافي، بجدة، ١٤٣٧هـ = يناير ٢٠١٦م، (ص ص ٦٣-١٠٠).

***